10 me Année No. 454

Lundi - 16 - 3 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٥٤ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٩ صفر سنة ١٣٦١ — الموافق ١٦ مارس سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

بين ناخب ونائب

بين غداة وعشية أمسى غنينا الطافح عضواً بالتزكية فى مجلس النواب. والفوز بالتزكية هنا معناه امتناع المنافس لا انقطاع النظير، وخلو الميدان لا بطولة الفارس؛ ومع ذلك نصب البك السرادق، وقدم الحلوى، وتقبل التهنئات، وسمع بأذنيه الطويلتين القصائد الغُور والخطب البُتْر فى الإشادة بالكفاية العالية فيه، والثقة الغالية به، والخير المرجو منه. وللريف شعراء وخطباء كعصافير الحصاد: تقع فى الجرن ولا تقع فى الروض، وتزقزق للحبة ولا تزقزق للزهرة، وتكرر أغرودتها الواحدة ولا تقصد بها معنى غير فرحها هى بسعة البَيدر وضخامة العُرمة!.

ولكن البك وحده هو الذى صدق هذه التفاعيل العَروضية فانتفش انتفاش الديك، وراح يَعِدُ ويُمنّى، ويُعدّدُ ويَمنّ، ويفخر ويفيش، وزعم أنه باجتهاده وجهاده سيجعل المجلس يبسط الأرزاق، ويطيل الأعمار، ويضمن لكل ناخب فى دائرته قصراً فى الدنيا وقصراً فى الجنة. كان الرجل يتنفّخ والناس يجاملون بالإصغاء، ويتجملون بالصبر، إلا صديقنا الشيخ منصوراً فقدقال له فى شيء من حدة الصراحة وشدة الحِجاج:

— ذلك يا بك كلام من لغة التحيات والمجاملات تردده الألسن بحكم العادة ولا تريد به شيئاً. هو أشبه بقولى: (أهنئك بالفوز) وما كنت أريد انتخابك، أو قول اللص: (السلام عليك) وهو يريد انتهابك. ولو كانت الوعود البرلمانية فى آخر

الفهـــرس

الانتخاب، والبرامج الوزارية فى أول الدورة، من الكلام الذى يقصد به معناه، لما بقى فى صحارى مصر شبر يشكو الظمأ، ولا فى مساكين مصر فرد يشكو الجوع! لقد قلتم كثيراً ولم تفعلوا، فحاولوا هذه المرة أن تفعلوا ولا تقولوا!

— أنت يا شيخ منصور كالضرس المخالف فى دولاب الساقية! لا يجرى كلامك مع الكلام، ولا يقف رأيك مع الآراء. ماذا تريد أن يفعل النائب أكثر من أن يمثل الأمة، ويشرع القوانين، ويبحث الميزانية، ويراقب الحكومة؟

— ذلك هو المفروض يا بك! أما الواقع فهو أن بعضهم متى دخل البرلمان لا يمثل إلا نفسه، ولا يقضى إلا حاجه، ولا يراقب إلا عدوه. ويصوت على القانون فى قاعة المجلس بالإقرار، ثم يكون هو أول من يطلب خرقه فى ديوان الحكومة بالوساطة!

إن ما يُطلب من الحكومة والبرلمان فى شؤوننا العامة، لا يزيد كثيراً على ما يُطلب من صاحب العزبة فى شؤونه الخاصة: استصلاح الأرض والانتفاع بكل ما فيها؛ ثم تدبير القوت والصحة والمعرفة لكل من يقوم عليها. ليس لنا مستعمرات تقتضى إدارتها النشاط والحكمة، ولا أسواق تجارية تطلب مراقبتها الذكاء والخبرة، ولا سياسة خارجية تحتاج معالجتها الدهاء والقوة. ها هى ذى عشرون سنة مرت على مصر ولها استقلال وفيها برلمان، فهل تستطيع أن تقول إن المصرى الآن، أصبح خيراً مما كان؟ إن هذه العشرين سنة غيرت نُظماً وخلقت أمماً وقلبت الدنيا كلها رأساً على عقب؛ ولكنها مرت على النائمين فى الكهف مرور الحلم المزعج، حرك الأجسام بعض الحركة، وترك المشاعر ساكنة كل السكون

— ما هذه الفلسفة يا شيخ منصور؟ هل تستطيع أن تقول لى أنت متى تركوا الحكومة تستقر، وخلّوا البرلمان يعمل؟ إن الدستور فى الأمة كالمصباح فى الصحراء، لا ينشر ضوءه إلا إذا تركته الرياح آمناً

— لو تفلسفت يا بك كما أتفلسف لتبينت أن استقرار الحكومة واستمرار البرلمان لا يكونان مع سياسة الكلام، فإن سياسة الكلام هى سياسة الفراغ، وإذا شغلها شاغل فهو المراء والمكابرة والمهاترة والخصومة. وكلما علا صوت على صوت، وظهرت دعاية على دعاية، انقلبت الأوضاع، وتغيرت المكاتب، وتبدلت المناصب، وتعطلت المواهب، وتقوض المبنىّ، وانتكث المفتول، وتوقف السائر. أما سياسة العمل فهى لكل ذهن ما يشغله، ولكل يد ما تعمله. وإذا اشتغلت الأذهان وعملت الأيدى، عيَّت الألسنة فلا تجادل، وائتلفت القلوب فلا تختلف، وانقطع دابر القوالين فلا تعود الحزبية تجارة ولا السياسة حرفة

— إن الدلائل يا شيخ منصور تبشر بصلاح الحال. وما دام الأمر فى يد أهله فانظر إلى المستقبل نظر المتفائل الآمل

— لا تكلنى إلى المستقبل يا بك. إن من يضيع يومه لا يجد غده. ومن يفرط فى عاجل الشهادة طمعاً فى آجل الغيب كان حقيقاً ألا يدرك شيئاً

— وماذا تريد أن أصنع لك الآن؟

— أريد أن تنزل عن مكافأتك النيابية لدائرتك الانتخابية. إنك والحمد لله ضخم الثراء رفيغ العيش؛ فلا أقول إنك طلبت النيابة كما يطلب الناس الوظيفة. وإن أربعين جنيهاً فى كل شهر تقسم على ثمانى قُرى لا تدع فيها أميًّا واحداً قبل انقضاء الدورة. ولا أعتقد أنك تؤدى إلى أمتك فى طول نيابتك عملاً أرفع ولا أنفع من هذا العمل. إنك تعلم أن فى مركزين من مراكز الغربية ثلاث عيلات تملك سبعة وعشرين ألف فدان، وتشغل سبعة كراسى فى البرلمان، تكافأ على شغلها بأربعين ألف جنيه فى العام؛ فقدر فى نفسك يا بك ماذا يجدى على دوائرهم الفقيرة هذا المبلغ وهو لا يقدم فى ثرواتهم العريضة ولا يؤخر

— ولكنك تطلب ما لا يطلبه أحد فى أمة من الأمم

— وهل تجد فى أمة من الأمم فقراء فى مثل فقرنا يعطون، وأغنياء فى مثل غناكم يأخذون؟ إن النيابة عندهم بذل وتكليف، ولكنها عندنا ربح وتشريف. وإن أكثركم ليسخو بالآلاف فى سبيل الدعاية لها والظفر بها؛ فهل يضيركم أن تنزلوا لنا عن هذه العشرات فتحفظوا مهجاً من التلف وعقولاً من الجهالة؟

— كلامك يا شيخ منصور سديد ورأيك أسد. وإنى أعدك ألا أعارض إذا قَبِل الآخرون

— أى آخرين تريد يا بك؟ ولم لا تسن أنت هذه السنة الحسنة فيكون لك أجْرها وأجر من عمل بها إلى يوم يحل المجلس؟

— يحل المجلس؟ قل إلى يوم تنتهى الدورة يا شيخ؟ فأل الله ولا فألك! لقد شغلتنا بثرثرتك عن تحية الناس. ثم أشاح البك عن الشيخ وأقبل على المهنئين يوزع عليهم تحياته الشريفة! فلما أعدناها على ترتيبه خرجت لحسن حظ الأدب منظومة فى هذا البيت:

أهلاً ومهلاً، طيبونَ، وحشتِنا سَلمات، إزّيك، وكيف الحال؟

(المنصورة) أحمد حسن الزيات

بين آدم وحواء :

تحت شجـــرة التين

للدكتور زكي مبارك

جاهد آدم نفسه في حدود ما يطيق ... وماذا يطيق المرء وهو يجاهد النفس في أهواء تسوقها امرأة ؟ سينتهي أمره إلى الهزيمة ، إلا أن تؤيده قوة ربانية تصرف عنه السوء وترده إلى الاعتصام بالعقل . ولحكمة يعلمها الله ضعُف آدم عن مقاومة حواء ، ودعاها إلى التلاق تحت شجرة التين

وهنا يذكر شيث في كتابه أن حواء تلكأت في الاستجابة لذلك الدعاء ، ولزمت مكانها تحت شجرة الطلح ، كأنها تريد أن تحمله على الإلحاح فيكون البادئ بالعصيان

ولو تأمل شيث قليلاً لذكر تعليلاً غير هذا التعليل ، فالرأى عندي أن حواء توهمت أن لآدم رغبة في شجرة التين ، وأن تمنعه لم يكن عن صدق ، وإنما كان يريد أن يحملها تبعة العصيان

والحوادث تؤيد هذا الافتراض ، فما كاد آدم يخبر حواء بأنه سيسايرها فيما تريد حتى فترت رغبتها في قرب الشجرة المحرَّمة ، وأعلنت اكتفاءها بما أحلّ الله من طيبات الفردوس

فما معنى ذلك ؟ وما مغزاه ؟

معناه أن حواء تحب أن تسلك في جانب يغاير ما يسلك آدم من الجوانب ، فقد أحبت حواء التين حين ثار آدم عليه ، ثم زهدت فيه حين رأته من هواه ، وإلا فكيف جاز أن يدعوها فلا تجيب وهي التي قهرته قهراً على أن يذعن لما تريد من قرب شجرة التين ؟

وابتسم آدم حين رأى حواء تهدأ بعد ثورة وتلين بعد شِماس ، ثم حمد الله على انحسار الغمة وانجلاء الضيق ، وأخذ في الاستغفار من الذنب الذي اقترف . فقد حدّثه الضمير بأنه أذنب بالفعل ، وإن لم يذق الثمر الممنوع ، لأن نية السوء لا تقل بشاعة عن السوء في نظر الأخلاق ، وكان آدم يعرف أنه يعامل الله ، والله يحاسب على النيات بأقسى مما يحاسب على الأقوال والأفعال ، لأنه يحب لعباده أدب الملوك لا أدب العبيد

ثم نظر آدم فلم يرَ حواء ، فأين ذهبت ؟

فتش عنها في غياضٍ كثيرة ، وسأل عنها أسراباً من الطير والظباء فلم يظفر بجواب ، فأين ذهبت ؟ وكيف ضاعت ؟ وما السبيل إلى مكانها في الجنة الفيحاء ؟

أتكون غضبتْ من طاعة آدم وكانت تحب أن يتمرد ؟

لقد خطر لآدم هذا الخاطر ، فقد علمته التجارب أن حواء لا تتمتع بالصحوة الجسدية والروحية إلا في أوقات الخلاف . وهل ذاق آدم حلاوة حواء إلا في لحظات الثورة على الأوامر الربانية ؟

أمرُ هذه المخلوقة أعجب من العجب ، فهي لا تحلو ولا تطيب إلا عند النضال ، وهي تفقد كل قيمتها حين تتناول شؤون الحب في طاعة مجردة من الإحساس ، كالطاعة التي تصدر عن فتاة لم تبلغ سنّ الكيد ، وكيدُ المرأة إثمٌ جميل !

فكّر آدم طويلاً في غيبة حواء ، وانزعج حين خطر له أن تكون حُرِمت الثورة على ما ترى وما تسمع ، وأنها لذلك سكنت إلى العزلة في جُنَينة مهجورة يسقيها نُهيرٌ مجهول من رواضع الكوثر وهي رواضع تُعدّ بالألوف[1]

وعاد آدم إلى نفسه ليعرف حاله في غيبة حواء ، فصحّ عنده بعد التأمل أن العبادة الصحيحة لا تكون إلا بالجهاد ، ولا جهاد بدون أهواء

يجب أن يكون في الوجود حرامٌ وحلال ، لنشعر بالذاتية في قرب هذا واجتناب ذاك ، وإلا صرنا خلائق تواجه الوجود بلا اكتراث ، وإذا انعدم الاكتراث فقد انعدمت الأخلاق . وقد يكون العصيان عن نية أفضل من الطاعة بلا إحساس ، لأن المهمّ أن نُدان حين نعصي ، ونُثاب حين نطيع ، ولا يتمّ ذلك بغير النية الواضحة فيما نباشر من مختلف الأعمال .

أتكون حواء ترهّبت فلاذت بأحد الكهوف ؟

ذلك ما خاف آدم أن يكون ، فالترهب نذير الموت ، وهو يكره لحواء أن تموت .

وكيف يعيش آدم إذا غفا كيد حواء ؟

(١) الرواضع هي النهيرات التي تأخذ زادها من النهر الأعظم ، أما الروافد فهي النهيرات التي تمده بالسيول .

لقد أبدعته إبداعاً وأنشأته إنشاء ، حين تولّت إضرام الجمر المكنون في قلبه الوسنان ، وآدم رجل ، والرجل يحفظ الجميل .

ومرّ حينٌ وأحيان وأحايين وحواء لا تعود .

وشعر آدم بانعدام أسباب الثورة والهدوء فأيقن بقرب الفناء

وما حياةُ الرجل إذا خلت من الأحلام والحقائق والأباطيل ؟

ما حياته إذا حُرِم التنقل من ضلال إلى هدًى ، ومن هدًى إلى ضلال ؟

قيمة الرجل بالجهاد ، ولا جهاد بدون أهواء ، وقد أمسى صدر « آدم » وهو جلمود أملس لا ينبت الأزهار ولا الأشواك ولا يثبت فوقه تراب ولا ماء

والتفت « آدم » فرأى من الخير أن ينقطع للاستغفار ليتوب الله عليه ، وهل أذنب حتى يتوب ؟

إن كان كل حظه من المعصية أنه رضي مسايرة « حواء » ، وقد ذهبت « حواء » ولم يبق موجب للقنوت والابتهال

الموت أفضل من حياة تخلو من مقارعة هوى النفس في كل يوم .

والرجل الذي يواجه المعاني بقلب أغلف شبيهٌ بالرجل الذي يطالع سفر الوجود وهو معصوب العينين . وهل كان الموت فناء إلا لأنه يصدنا عن صنع الخير واجتراح الآثام ؟

وما طعمُ الاستغفار على لسان من لم يذنب ؟ وما لونُ الطاعة في عين من لم يقاوم الأهواء ؟

لقد مات « آدم » وهو حي ، فلم يعُد يدرك ما في الفردوس من سِحر وفُتون

كان « آدم » يجد لذة في ضرب « حواء » ، فأين هي الآن ليتمتع بلطم خدها الأسيل ؟!

وكانت « حواء » تجر « آدم » إلى مآزق تُشعره بقوة الحيوانية ، فأين هو اليوم من تلك المآزق ؟ وأين سبيله إلى الفتك والجنون ؟

لقد خلت حياته من جميع المعاني بعد غيبة « حواء » ، وما كان يعرف أنها تملك من الروحانية الأثيمة ذلك الحظ العظيم

وانطلق « آدم » يراود معاهد الحب ، علّه يجد « حواء » مختبئة في بعض ألفاف البواسق ، على نحو ما كان يقع في الأوقات السوالف ، ولكنه لم يظفر بغير اليأس

أين « حواء » ؟ أين « حواء » ؟

أين الصبية الجميلة التي أوحت إليه فكرة الثورة على الشرائع ؟

أين الخلقة الحلوة التي زينت له طعم العصيان ؟

كان آدم يشتهي جميع ما في الجنة من أطايب قبل أن تفارقه حواء ، ثم أمسى وهو موقوذ الشهية بسبب الفراق ، وهل تطيب الحياة لمن يعيش بلا أنيس موسوم بالصباحة والجمال ؟

ذلك نعيم ذهب ، وأمل ضاع ، فليقتل آدم نفسه إن شاء

هي امرأة مخبولة ، ولكنها مشتهاة ، والشهوة رزق من الأرزاق ، وإن قيل في تجريحها ما قيل

كان آدم يهز الشجرات المثمرات ليُطعم حواء ، وهو اليوم يرضى بما يسقط من الثمر المعطوب ، إن يَبق له شيء من نعمة الجوع ، والجوع نعمة لا يحسها غير الأصحّاء

كان لآدم في الجنة تاريخ بسبب اللجاجة التي كانت تثور عن حواء من حين إلى حين ، فما حياته وقد أمسى مغسول القلب والروح والوجدان ؟

أيعبد الله بالاستغفار ؟ ومم يستغفر وهو مقتول الأهواء ؟

أيسبّح لله ؟ وكيف ؟ إن التسبيحَ تنزيه وهو معنًى لا يُدرَك بغير القياس ؟

لو عادت حواء لاستطاب آدم شجرة التين ، ولكن متى تعود ؟

لقد اكتفت الشقية بأن تطمئن إلى أنها مصدر ضلاله وهداه ؟

وكذلك رأت أن تتركه في حيرة دامية عدداً من الأعوام العجاف ؟

وبغيُ المرأة لا يحتاج إلى برهان

استيأس آدم فرضي بالانزواء في أحد الأدغال ، وعند ذلك شعرت حواء بالشوق إلى مصاولته من جديد ، والمرأة يؤذيها أن يهدأ الرجل ، ولو كان في المحراب

— آدم ! آدم !

— حواء ؟

— نعم ، حواء ، ألا تراني ؟

— كنت حسبت أنكِ ذهبتِ إلى غير مآب

— قبل أن نأكل معاً من شجرة التين ؟ هذا مستحيل !

— وهل نعصي الله يا حواء ؟

— سترى أن المعصية طيبة المذاق (؟!)

وتنبّه آدم فرأى أنه مقبل على خطر جديد ، فدار الحوار بأسلوب جديد

(للحديث شجون) **زكي مبارك**

النبي المقنع

بقلم الأمبراطور نابليون بونابرت

نقلها الى العربية عن الترجمة الانجليزية (١)

الأستاذ ابراهيم عبد الحميد زكي

مقدمة

لا تنحصر أهمية هذه القصة في كونها أثراً من آثار رجل عظيم فحسب، بل تتعدى ذلك إلى ما تكشف للناس عنه من اتجاه نابليون وطموحه قبل أن تتيح له الثورة الفرنسية فرصة إظهار عبقريته ونبوغه في الحرب والقيادة. فقد كان نابليون حتى عام ١٧٨٩ ضابطاً صغيراً في الجيش الفرنسي، ولم يكن قد ظهر له من المواهب شيء يسترعي الأنظار، وكانت أسرته الكورسيكية قد أخنى عليها الدهر وقضت الأيام بأن تعاني شدائد العسر والضيق المالي، فرأى الشاب أن يحزم أمره ويعقد عزمه على إصلاح شئونها وتفريج كربها بالالتجاء إلى الأدب عسى أن يظهر فيه ويذيع اسمه فينال من الشهرة ما يكفل له رواج كتبه وسعة رزقه، فاتجه بجميع قواه نحو تحقيق هذه الغاية، وبذل من الجهد العصبي في هذا الميدان مثلما قدر له أن يبذل في ميدان الحرب والقتال، فوضع كتاباً في تاريخ جزيرة كورسيكا وهذبه على الأقل ثلاث مرات؛ وألف رواية كورسيكية أيضاً وعدة قصص صغيرة وبضع قصائد شعرية ومقالات كثيرة. فعل هذا كله ولم يبلغ سن العشرين، ولكن ذلك لم يجد عليه نفعاً ولم يحقق ما كان يطمح إليه، فلم ينشر كتاب التاريخ، وظلت روايته مخطوطة، ولم تر مقالاته ولا قصصه الضوء إلا بعد سنوات كثيرة من تأليفها

ولقد قيل عن قصة «النبي المقنع» إنها محض خيال، وإنها لا تستند إلى شيء من الواقع، ولكن هذا غير صحيح. حقاً إن نابليون لم يتبع الدقة التامة في ذكر التفاصيل، ولكن هذا لا يعني أن القصة لا تقوم على أساس تاريخي صحيح، بل إن المرء يلاحظ أنه عرض حوادثها عرضاً تمثيلياً (دراماتيكياً) قوياً. وقد كتبها نابليون عام ١٧٨٧، وجرى في تأليفها على أسلوب فولتير ونشرت عام ١٨٢١ — أي عام وفاته

القصة

في سنة ٧٧٦ ميلادية، أي بعد مائة وستين عاماً من هجرة النبي محمد، كان ميكادي(١) خليفة في بغداد؛ وكان أميراً نبيلاً ذا بأس وقوة، تخشيه جيرانه وقدروه ويجلوه. وفي ظل حكمه العادل تمتعت بلاد العرب بالسلم والرخاء. وكان الخليفة راعياً للعلوم والفنون فتقدمت الحضارة في عهده تقدماً سريعاً، إلى أن كدر صفو هذا الهدوء والتقدم قيام متنبئ جديد. ظهر هذا الرجل واسمه حكيم في مدينة خراسان فتبعه خلق كثير في وقت قصير. وكان طويل القامة فصيح اللسان فادعى أنه صوت الله على الأرض وقال: إن الواجب أن يكون الناس جميعاً من حيث المراتب والثروة سواء. واستهوى هذا القانون أفئدة الدهماء فهرع إليه ألوف من الناس وكان له بذلك جيش عظيم

ولما رأى الخليفة والنبلاء خطر هذه الثورة عقدوا العزم على خنقها في المهد؛ ولكن جيوشهم كانت تلاقي الهزيمة تلو الهزيمة فازداد بذلك أنصار حكيم يوماً بعد يوم

وبينما كان هذا النبي في أوج مجده إذا به يصاب بمرض شديد، وكان هذا المرض نتيجة الجهد المضني الذي بذله في المعارك التي خاض غمارها. فلما خفت وطأة المرض ونال الشفاء أيقن أن حسنه قد ذهب، وأنه لم يعد بعد خير رجال العرب

(١) نشرت الترجمة الانجليزية لهذه القصة لأول مرة في عدد شهر ديسمبر سنة ١٩٠٩ من مجلة Pearson's صفحة ٥٩٣ واسم المترجم الانجليزي سيدني ماتينجلي Sidney Mattingly

(١) يريد المهدي، ويلاحظ أن رسم Mikadi قريب من Mahdi، فاما أن يكون نابليون قد أخطأ في النقل، وإما أن يكون المصدر الذي أخذ منه قد وقع في هذا الخطأ

وأوسمهم إذ كان قد عمى وخبا إلى الأبد ضوء عينيه الرائع

ولما أحس بأن هذا التشويه الطارئ قد يفقده السيطرة على أتباعه والتأثير فيهم ، رأى أن يحجبه عن أعينهم بقناع من فضة وضعه على وجهه . فلما فعل ذلك عاد إلى الاتصال بهم والتجول بينهم يخطبهم ويؤثر فيهم بفصاحته المعهودة ، فظل الناس مأخوذين بعذوبة لسانه وسحر بيانه كما كانوا من قبل ؛ وكان يعلل لهم إخفاء وجهه عنهم بأنه يخشى عليهم أن يبهر أعينهم ذلك الضوء الفياض الخارق للطبيعة الذى ينبعث منه . إذ تبين له أن الظرف الحالى يقضى عليه بأن يعتمد أكثر من ذى قبل على الحماس الدينى الذى أوقد شعلته وأثار كوامنه فى نفوسهم

ولكن هذه الحال لم تدم كثيراً إذ أصيب أتباعه فجأة بهزيمة منكرة على أيدى جيوش الخليفة ؛ فكانت هذه الهزيمة صدمة عنيفة وجهت إلى صميم هذا الدين الجديد ؛ فهجر حكيما كثير من أنصاره ، وتراجع هو ومن بقى معه من أتباع قلائل إلى مدينة محصنة محوطة بأسوار عالية ؛ ولكنه لم يلبث قليلاً حتى أحدق به جند الخليفة وحاصروه

وتبين الآن أن أمام حكيم أحد طريقين : فإما أن يموت ، وإما أن يحدث له ما هو أسوأ من الموت وهو الوقوع أسيراً فى أيدى أعدائه ، فجمع أتباعه وخطب فيهم قال :

أيها المؤمنون ! لقد اختارنا الله ورسوله لإعادة بناء هذه الأمة واسترجاع مجد الإنسان ؟ فلماذا إذن يثبط من عزمنا ويلق اليأس فى قلوبنا كثرةُ أعدائنا ؟ أصغوا إلى ! فى الليلة البارحة والناس نيام سجدت لله طويلاً ودعوته فى حرارة قلت : أبتاه ! لقد رعيتنى وحميتنى هذه السنين الطوال فهل أثمت أو أثم أحد من أتباعى حتى تخليت عنا ؟ فسمعت صوتاً يجيب : يا حكيم إن أتباعك الذين حافظوا على عهودهم وظلوا معك يناصرونك ولم يتخلوا عنك فى ساعة الحرج ، أولئك هم الذين سأنجيهم وأنصرهم ، وأولئك هم الذين سيقاسمونك غنائم أعدائهم الطغاة وأموالهم . إنتظر حتى يبزغ القمر الجديد، فإذا بزغ فأمرهم أن يحفروا خنادق فى الأرض كثيرة فيسقط أعداؤهم فيها ويهلكون

ففعلوا ما أمروا به ، وحفرت الخنادق وألقى فيها مقادير هائلة من الجير ، ووضع على حافاتها أوان من النحاس كبيرة ملئت زيوتاً قابلة للاشتعال

وعندئذ أقام حكيم حفلاً كبيراً دعا إليه أنصاره فأكلوا وشربوا من الخمر الذى قدم إليهم

ولكنهم لم يلبثوا أن وقعوا على الأرض صرعى يألمون أشد الألم من السم الزعاف الذى مزجت به الخمر ، ثم فارقوا الحياة . وكان حكيم وحده لم يذق هذه الخمر فأخذ جثثهم وألقاها فى الخنادق ليتلفها الجير ثم سكب عليها الزيوت وأشعل فيها النيران ؛ فلما تصاعدت أعمدة اللهب والدخان قفز فوق أتباعه فاحترق وكان من الهالكين

وفى اليوم التالى تقدم الخليفة وجيوشه صوب المدينة وأرادوا اقتحامها ولكنهم عند ما اقتربوا من أبوابها وجدوها مفتوحة على مصراعيها بغير حراسة ، فوقفوا قليلاً وترددوا خشية أن يقعوا فى كمين أعد لهم ؛ ثم دخلوها بعد قليل فإذا بها خالية من الناس، وإذا بالنبى وأتباعه جميعاً قد هلكوا إلا امرأة واحدة من حظايا حكيم

قصة يكاد العقل يأبى تصديقها لغرابتها ، وهى تبين المدى البعيد الذى يذهب إليه الناس أحياناً طمعاً فى الشهرة وبعد الصيت

تعليق

هذه هى القصة كما كتبها نابليون وهى تتفق فى جملتها مع الرواية العربية التى سنأتى بخلاصتها فى الأسطر التالية :

ظهر المقنع كما يقول ابن الأثير فى حوادث سنة تسع وخمسين ومائة بمدينة خراسان ، وكان رجلاً أعور قصيراً من أهل مرو يسمى حكيما . وكان قد اتخذ وجهاً من ذهب فجعله على وجهه لئلا يرى ، فسمى المقنع وادعى الألوهية ، ولم يظهر ذلك إلى جميع أصحابه . وكان يقول بالتناسخ فيزعم أن الله خلق آدم فتحول فى صورته ثم فى صورة نوح وهلم جرا إلى أبى مسلم الخراسانى ، ثم تحول إلى هاشم ؛ وهاشم فى دعواه هو المقنع . وتبعه

خلق كثير من ضلال الناس ؛ وكانوا يسجدون له من أي النواحي كانوا ؛ واجتمع إليه خلق كثير وظهرت المبيضه[1] ببخارى والصفد معاونين له

وكان يعتقد أن أبا مسلم أفضل من النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل المهدى إليه أبا النعمان والجنيد وليث بن نصر فحاربوه مرة بعد مرة ، ثم أنفذ إليه جبرائيل بن يحيى وأخاه يزيد فاشتغلوا بالمبيضة الذين كانوا ببخارى فقاتلوهم أربعة أشهر في مدينة بومجكث فقتل منهم سبعمائة ولحق منهزموهم بالمقنع ؛ ثم سير المهدى أبا عون لمحاربة المقنع فلم يبالغ في قتاله واستعمل معاذ بن مسلم

وفي سنة إحدى وستين ومائة سار معاذ بن مسلم وجماعة من القواد والعساكر إلى المقنع وأوقعوا بأصحابه وهزموهم ، وقصد المنهزمون إلى المقنع بسبام فعمل خندقها وحصنها . ووقع بعد ذلك نفرة بين معاذ وأحد القواد وهو سعيد الحرشي فكتب الحرشي إلى المهدى يقع في معاذ ويضمن له الكفاية إن أفرده بحرب المقنع ؛ فأجابه المهدى إلى ذلك ، فحاصر المقنع وأطال الحصار ، فطلب أصحاب حكيم الأمان سراً فأجابهم الحرشي إلى ذلك فخرج نحو ثلاثين ألفاً ، وبقى مع المقنع زهاء ألفين من أرباب البصائر . وتحول رجاء بن معاذ وغيره فنزلوا خندق المقنع في أصل القلعة وضايقوه . فلما أيقن بالهلاك جمع نساءه وأهله وسقاهم السم فأتى عليهم ، وأمر أن يحرق هو بالنار لئلا يقدر على جثته . وقيل بل أحرق كل ما في قلعته من دابة وثوب وغير ذلك ؛ ثم قال من أحب أن يرتفع معي إلى السماء فليلق نفسه في هذه النار . وألقى بنفسه مع أهله ونسائه وخواصه فاحترقوا . ودخل العسكر القلعة فوجدها خاوية ، وكان ذلك مما زاد في افتتان من بقى من أصحابه والذين يسمون المبيضة فيما وراء النهر ، إلا أنهم يسرون اعتقادهم . وقيل بل شرب هو أيضاً من السم فمات . فأنفذ الحرشي رأسه إلى المهدى فوصل إليه

(١) يقول سيد أمير على (الترجمة العربية للأستاذ رياض رأفت صفحة ١٩٩) : وقد كان أصحاب المقنع يلبسون الملابس البيضاء ولهذا سموا بالمبيضه ، كما أطلق على فرقة جديدة أخرى في « جورجان » اسم المحمرة لارتدائهم الملابس الحمراء ، وكانوا يدينون بمبادئ إباحية مفرطة

وهو بحلب سنة ثلاث وستين ومائة في غزواته

وقد كانت هذه الرواية وغيرها معروفة على الأرجح في القرن الثامن عشر عند أكثر الأدباء الغربيين فاستهوت أفئدتهم وأثارت أخيلتهم لغرابتها وطرافتها ، ولانتحار المقنع هذا الانتحار المروع ، فاتخذها بعض الأدباء والشعراء موضوعاً لقصصهم وأشعارهم . ولعل أشهر من تناولها بشيء من الاحتفال والعناية في القرن التاسع عشر هو الشاعر الإنجليزي المشهور توماس مور Thomas Moore (١٧٧٩ — ١٨٥٢) وهو صديق الشاعر الكبير لورد بيرون وكاتب ترجمة حياته ورسائله . وقد أفرد لقصة المقنع الجزء الأول من قصيدته الكبرى Lalla Rookh [1] فأثنى النقاد على هذه القصيدة ثناء عظيما لدقة وصف الشاعر للبلاد الشرقية وروحها ؛ ولكن هازلت الناقد المعروف أنكر شاعريتها ورأى فيها من آثار الصنعة أشياء كثيرة تفوق ما انطوت عليه القصيدة من روح شعرية صافية[2]

إبراهيم عبد الحميد زكي

(١) نشرت عام ١٨١٧

(٢) إرجع في ذلك إلى كتاب سر وليم ميور عن الخلافة الاسلامية صفحة ٤٧٠ طبعة ١٩٢٤ ، وإلى دائرة معارف الأدب الانجليزي Chambers's صفحة ٣٦٣ وما يليها

اختباراتى فى الأحلام

للدكتور محمد حسنى ولاية

إن الأخذ بنظرية خاصة فى تفسير الأحلام لا يؤدى إلى نتائج صحيحة فى كثير من الأحوال ؛ فرأى الإنسان كثيرة التشعب وظروفه مستمرة التقلب، وأهدافه تتغير بتغير الظروف والملابسات وتفاوت السن ، وتطور العقلية بحيث يكون من الخطأ أن يولىّ الحالم القبلة التى يرتضيها مفسر الحلم تبعاً لنظريته .

وإنى أرى أنه لا توجد نظرية واحدة يمكن تفسير جميع الأحلام بمقتضاها . ونحن لا نستطيع أن نقول : إن كل حالم ينشد إرضاء رغبات طفلية محتبسة فى العقل الباطن ، أو أنه يسعى إلى توكيد أهمية ذاته فى الحلم ، كما أنا لا نستطيع أن نجزم بأن الأحلام التى تنشأ مما يسميه يونج « اللاوعى الشامل » تتحدى أية محاولة لتبريرها .

إن ما لا نستطيع تبريره ليس معناه أنه لا يمكن تبريره والتدليل عليه . ولا ينبغى لنا أن نقول : إنه لا يمكن الوصول إلى الحقيقة لأنا لم نستطع الوصول إليها ؛ فما زال مجال البحث والاستقصاء متسعاً ، وما زالت العقلية البشرية تسمو نحو الكمال رويداً رويداً على مر الزمن .

على أن هذا ليس من شأنه أن يبخس النظريات التى وضعها علماء النفس حقها ، إذ يكفيهم فخراً أنهم فتحوا أذهاننا للبحث ، واستكشفوا آفاقاً مجهولة من العقل البشرى ، وأرسلوا بصيصاً من النور على كثير من الحقائق . ومع ذلك فإن بعض النظريات التى وضعت تصلح لتفسير بعض الأحلام دون البعض الآخر . ومن الممكن أن يفسر حلم واحد على أساس نظريتين أو أكثر نظراً لتعدد جوانب بعض الأحلام وتشعب مراميها .

كثير من الأحلام تافه القيمة من الوجهة النفسية ، فهو أشبه بالأحاديث العادية التى يدلى بها الشخص بمناسبة وبغير مناسبة ، لأنه لا يستطيع الصمت فى أغلب الأحوال ، فلا بد أن يقول شيئاً أياً كان للتفريج عن الطاقات الفائضة فى نفسه .

وقد تعبر الأحلام على وتيرة الأحاديث البادية أو على نمط الرموز البدائية أو على نهج الأفكار والنزعات الطفلية . على أن لبعض الأحلام قيمة القطوعات الشعرية الرائعة ، أو الصور الزيتية الجميلة ، أو النغمات الموسيقية الساحرة .

يستفسر بعض الناس عن السبب فى كونهم لا يرون أحلاماً إلا فيما ندر ؛ ورداً على هذا أقول : إنه قد يكون راجعاً إلى كون الطاقة الكابتة (الرقيب الحلمى) لديهم قوية بحيث لا تستطيع المنبهات الكامنة فى العقل الباطن التعبير عن نفسها ، وقد يؤدى احتباسها فى السريرة إلى القلق .

ومن الناس من يعبرون فى اليقظة عن أفكارهم ووجدانهم وعواطفهم بوسائل تشبه وسائل الرجل الفطرى الذى يستعين بالرموز ويعتقد فى السحر لأن قوام الكابتة ضعيفة ، وهذا يؤدى إلى طغيان عقلهم الباطن على عقلهم الواعى ، فتبدو أفكارهم عجيبة لا يهضمها المنطق لكونها مؤسسة على البدوات مفتقرة إلى الانسجام والتماسك . وقد يبلغ بعض هؤلاء ذروة الذكاء ولكنهم مع ذلك يشبهون الأطفال فى تصرفاتهم ولا يستطيعون تكييف أنفسهم للبيئة . ولما كان هؤلاء يعبرون باستمرار عما يدور فى سرائرهم فى حالة اليقظة فهم لا يدخرون طاقات عقلية مستفيضة تسعى إلى التعبير عن نفسها إبان النوم فى شكل أحلام .

وهاك بضعة أحلام وتفسيرها بإيجاز :

١ — رأى شاب شارع فى الزواج أنه موجود فى غرفة بيضاء مستديرة الشكل ، وقد دهش فى الحلم من طراز الغرفة ولعدم وجود أبواب لها .

وقد قال لى إنه عند ما استيقظ فطن إلى أن الغرفة تشبه صندوق الحلوى الذى يوزع على المدعوين بعد تحرير عقود الزواج

وفى نفس الليلة رأى فى حلم آخر فريقاً من السيدات والرجال والأطفال مجتمعين على شكل دائرى ، وكان هو خارج الدائرة ، ثم ما لبث أن نفذ كالسهم إلى داخلها .

إذا أنعمنا النظر فى هذين الحلمين اتضح لنا أن الأول يعنى عقد الزواج وما يصحبه من توزيع صناديق الحلوى . كما أن وجوده فى غرفة لا أبواب لها يعنى أن هذا العقد قيد لا مخرج منه .

ويمثل الحلم الثانى الزواج نفسه ، فالدائرة ترمز إلى عضو الأنوثة ، والأشخاص يمثلون المحتفلين بالعرس ، ويعنى الدخول إلى الدائرة العملية الجنسية ذاتها

٢ — خطبت شقيقة صديق لى إلى شاب ثم ألغيت الخِطبة ، وقد قص علىّ الحلم الآتى :

« رأيتنى فى قاعة إلى جانب شقيقتى ، وجلس إزائى الأستاذ أحمد بدرخان والسيدة أسمهان . وبعد مدة وجيزة أقبل كلبان توأمان ورقصا على نغمات موسيقية »

المقصود من هذا الحلم التحذير من إتمام صفقة الزواج ، إذ هو يعنى أنه إذا تم الزواج فصيره إلى الإخفاق مثلما أخفق زواج الأستاذ بدرخان بالسيدة أسمهان . أما الكلبان التوأمان فدخيلان على الحلم . والسبب فى رؤية الحالم لهما أنه كان يقرأ موضوعاً عن التوائم فى الليلة التى رأى فيها الحلم ؛ على أن رقصهما على النغمات الموسيقية يقصد به التعبير عن السرور بالتخلص من خطيب غير مرغوب فيه

٣ — طلب شاب منذ عشر سنوات يد فتاة فرفضته فتزوج بفتاة أخرى . وقد رأت الفتاة الأولى على أثر إصابة الشاب بكارثة منذ عهد قريب أنها تلبس حذاء ذا كعب مكسور ثم خلعته وناولته زوجة الشاب

يرمز الحذاء فى هذا الحلم إلى الزواج ، وتقصد الحالمة به تحقير خطيبها السابق ، ويمثل الكعب المكسور الكارثة ؛ وكأن الحالمة تقول لخطيبها السابق : « الآن أسلمك للفتاة التى تليق بك فما أنت أهل لى بسبب وقوعك فى الكارثة التى تمخضت عنها تصرفاتك الشائنة »

واضح من هذا الحلم أنه يمزج حوادث ماضية بأخرى حديثة ، فالعقل الباطن لا يعى الزمن وليس لمحتوياته انسجام ولا ترتيب

٤ — رأى شاب أنه يسير نحو هوة سحيقة بمحض اختياره على الرغم من أنه يعلم أن تصرفه يودى بحياته . وقد قضى نحبه فى اليوم التالى للحلم بأن سار نحو مركبة كهربائية فى شبه ذهول فاصطدمت به

وهكذا تغلبت رغبات العقل الباطن على ميول العقل الواعى لأنها كانت مزودة بطاقات انفعالية كبيرة . وقد كان عيشه رغيداً فلم يكن هنالك داع لالتماسه الموت ، ولكن الميول المحتبسة فى العقل الباطن من زمن بعيد عبرت عن نفسها بطريقة عملية فانتهت حياته إلى هذه النهاية المريرة

٥ — رأت فتاة مخطوبة أنها تملأ طبقاً بأوراق من شجرة سلق بدت فى الحلم على هيئة شجرة عنب ، وقد دهشت من شكلها لعلمها أن السلق ينمو فى شكل عشبى

يمثل هذا الحلم الزواج ، فالطبق يرمز إلى عضو الأنوثة ، والشجرة عضو الذكورة بما تمتاز به من قوة الزحف والتشبث

ولما كان الخاطب أنثوى التكوين مثّلته بشجرة السلق ، وكانت تريده كشجرة العنب المثمرة ، وهى تعنى بهذا أنه لا يستطيع إنجاب أطفال

٦ — رأت فتاة أنها فى قطار يجرى بسرعة شديدة بين بساتين دانية القطوف حتى وصل إلى بحيرة جميلة أينعت على صفحتها زهور النبات الطافى ، وسبحت فيها قوارب خضراء

يمثل هذا الحلم رغبة الفتاة الدفينة فى الزواج وإعقاب الذرارى فالقطار يمثل الرجل ، والبحيرة ترمز إليها ، والقوارب تعنى الأطفال

٧ — رأت سيدة نفسها ترتدى ثوب الزفاف وتتزين كالعروس . كانت هذه السيدة مريضة بمرض خطير يستدعى إجراء عملية جراحية وكأنها تقول فى الحلم : « سأسمح بإجراء العملية الجراحية فإذا شفيت فسأستقبل حياة جديدة »

وقد تحققت نبوءتها ، فأجريت لها العملية وشفيت

(البحث الآتى « أحلام اليقظة ») محمد حسنى ولاية

حاجتنا إلى معهد أثنولوجى
بجامعة فؤاد الأول
للأستاذ محمد جلال عبد الحميد

نعرض في هذه الكلمة الموجزة لضرورة العمل على إنشاء معهد ومتحف بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول يكون الغرض منهما دراسة الإنسان وجميع عناصر نشاطه المادى والروحى فى المجتمعات البشرية المحدودة المدنية[1] . وفى هذا المعهد يعنى بوجه خاص بدراسة سكان حوض النيل وأثر البيئة الجغرافية فى حياتهم

وسنتكلم أولاً عن المقدمات والأسباب التى نشأت عنها فكرة وجود معهد الأنتولوجية وملحقاته ، ثم ننتقل بعد ذلك للحديث عن الطرق والوسائل والخطوات التى يمكن اتباعها للوصول إلى تحقيق فكرة وجود هذا المعهد ، مراعين فى ذلك الحالات المادية والمستوى العلمى بمصر فى الوقت الحاضر . وفى النهاية نعرض لبرنامج الدراسة فيه وجمع الأشياء وترتيبها بالمتحف

***

كيف بدأت البحوث الأنتولوجية بمصر

(١) المؤسسات العلمية بمصر

إذا استثنينا بحوث « جيرارد » Girard أحد أعضاء الحملة الفرنسية ووصفه الشامل لبعض نواحى الحياة المصرية ، وألقينا نظرة عامة على تاريخ المؤسسات العلمية بمصر ، ثم تصفحنا بحوثها الانتوجرافية وقسنا مجهوداتها لنلمس ما قدمته من فوائد لعلم الاجتماع بوجه عام ، وللإتنوجرافية حوض النيل بوجه خاص، وجدنا أن الجمعية الجغرافية الملكية[1] هى أسبق تلك المؤسسات إلى تحديد غايتها من حيث العمل على دراسة البيئة الجغرافية والاجتماعية بحوض النيل ، إذ نقرأ فى منهجها الموضوع عام ١٩١٨ : أن « الجمعية ترغب بوجه خاص فى توسيع وتهذيب البحوث الانتولوجية » :

(La Societé désire étendre le champ de ses études et développer plus particulièrement les études éthnologiques[2])

وجاء فى موضع آخر من هذا المنهج أن « البيئة الجغرافية لا تدرس إلا فى الحالات التى تتأثر بها طرق حياة الإنسان » :

(Nous n'étudierons le Milieu que dans la mesure où il conditionne les modes de L'existence de l'homme[3])

ولتحقيق تلك الغاية اتبعت الجمعية الجغرافية عدة طرق، منها القيام بعمل بحوث علمية على البيئات الجغرافية بحوض النيل والأمم والقبائل المنتشرة فوقه لتحديد مميزات تلك البيئات ومعرفة اختلاف تلك القبائل والأمم من حيث الجنس والعادات والتقاليد ونوع نشاطها المادى ، وأن تتعهد الجمعية بنشر تلك البحوث وإلقاء المحاضرات التى تعالجها . يضاف إلى هذا أنها أنشأت متحفاً بدارها يضم كثيراً من أنواع الحرف والصناعات التى يمكن اعتبارها إلى حد ما من مميزات البيئة المصرية ممثلة فى مدينة

---

(١) استعمل علماء الاجتماع والأنتولوجيا اصطلاحات مثل :
« Societés Primitives », « societés non-civilisées », « Societés Sauvages », « Societés Archaiques » , etc...

وهذه تعبيرات مختلفة تدل على الأمم والقبائل الزنجية وغيرها من سكان أفريقيا وآسيا وأمريكا واستراليا التى ما زالت تتبع فى تفكيرها وحياتها نظاماً بسيطاً خلواً من التعقيد والتنوع اللذين تمتاز بهما حياة الأمم الراقية ؛ ولكنا نفضل هنا استعمال عبارة « الأمم ذات المدنيات المحدودة » عن غيرها من العبارات السابقة ؛ وذلك لأنه لا توجد الآن أية أمة أو جماعة بشرية مهما تضاءل حجمها أو اختلفت بيئاتها الجغرافية بدون مدنية ، وهذه المدنية هي بدورها خليط من مدنيات متعددة ولها تاريخ وأوضاع معينة

(١) أنشئت هذه الجمعية فى عهد الخديو اسماعيل باشا بمرسوم تاريخه ١٩ مايو سنة ١٨٧٦ أنظر « الجمعية الجغرافية الملكية » دليل للزائرين تأليف هنرى مونييه مصر عام ١٩٣٤

(2) Societé Sultanieh de Géographie et son Programme de travail; P. 1; 1919.

(3) Idid; P. 3.

القاهرة[1] . ولها أيضاً مكتبة غنية بما فيها من كتب ومراجع تاريخية وجغرافية عامة

ولو حاولنا أن نحصى نتائج البحوث العلمية التى قامت بها الجمعية منذ نشأتها إلى اليوم لظهر لنا أن قيمة هذه النتائج محدودة ، وخصوصاً إذا قيست هذه النتائج بما استنفد فيها من مجهودات فى مدة خمس وسبعين سنة تقريباً . إذ أننا لم نر لها بحثاً علمياً كاملاً فى أية ناحية من نواحى الحياة المصرية ، أو بما له اتصال مباشر بحوض النيل . هذا إذا استثنينا بعض المقالات والفصول التى تظهر بين وقت وآخر فى مطبوعاتها ؛ فهى أقرب إلى أن تكون إعلانات عن موضوعات يتناولها فيما بعد علماء مختصون يعنون بدراستها دراسة علمية منظمة . ولا تزال تجهل كثيراً من الظواهر الاجتماعية والدينية واللغوية بحوض النيل . ولا تزال تجهل أيضاً كيفية تعليل تلك الظواهر وتحديد أوضاعها

وأما قسم المحاضرات بالجمعية الجغرافية فإنه لم ينهض لتحقيق الغرض الذى أنشئ من أجله ، إذ لم يعمل على تنظيم إلقاء المحاضرات العلمية التى تتناول فى مجملها دراسة أحد الموضوعات والمشكلات التى هى وليدة البيئة المصرية وغيرها

ولعل سبب هذا الجمود الملحوظ من جانب الجمعية الجغرافية الملكية يرجع إلى أنها هيئة لم تشرف عليها الحكومة إشرافاً فعلياً لتخصص لها العلماء وتنفق عليها الأموال اللازمة لتحقيق غرضها العلمى كما جاء فى برنامجها السالف الذكر . وما دام هذا هو شأن هذه الجمعية فلا يحق لنا أن نعول عليها كثيراً وأن نحملها ما لا طاقة لها به من العمل على درس وتحليل البيئات الجغرافية والاجتماعية المختلفة الموجودة بحوض النيل، مع بذل الجهود فى جمع وترتيب ما اشتملت عليه العناصر المادية لتلك البيئات . فضلاً عما يطلب إليها من العمل على المساهمة فى بناء علم الأنتولوجيا مع المؤسسات العلمية فى البلاد الأجنبية

(١) يلاحظ أن معظم الأشياء الموجودة بتحف الجمعية جمع من القاهرة وحدها، ومن حيث أن هناك فرقاً كبيراً بين الصناعات والمعتقدات وغيرها من الظواهر الاجتماعية فى مدينة القاهرة عنها فى الريف المصرى ، لذلك لا يجب أن نعول كثيراً على تلك المجموعة

(ب) ندرة بحوث حوض النيل العلمية[1]

حين يتجول المرء بحوض النيل من منبعه إلى مصبه ، ومن شرقه إلى غربه ، لا يكاد ينتقل من مكان إلى آخر دون أن يلحظ كثيراً من التشابه تارة، ومن التباين تارة أخرى، بين البيئات الجغرافية والاجتماعية المختلفة . فمن منطقة جبال وغابات وبحيرات فى الجنوب، إلى منطقة تلال وصحار فى الشمال . وكذلك نشاهد على ضفاف النيل وعلى روافده كثيراً من القبائل الزنجية عراة الأجسام مثل الأشولى والمادى والبارى والشلوك والدنكا وغيرهم ؛ وفى مناطق أخرى نجد قبائل أفرادها نصف عراة مثل الانجستا والبرتا والتعايشة وما إليهم ؛ وفى شمال السودان ومصر نجد العرب والفلاحين وهم خليط من الدم السامى والزنجى وقليل من الدم الآرى . ونلاحظ أن كل تلك الجماعات البشرية تختلف كثيراً فيما بينها من حيث التكوين الاجتماعى وعناصر التفكير والشعور واللغة وطرق الحياة ؛ وأن من تلك الظواهر ما هو بسيط فى تكوينه، ومنها ما هو كثير التعقد والتنوع ؛ ولكل من هذه الأمم تاريخ قد يكون حديثاً فيرجع إلى مائة عام[2] أو أقل ، وقد يكون قديماً فيرجع إلى آلاف السنين

هذه هى حال الأمم والقبائل التى تسكن الآن حوض النيل . أما رجل ما قبل التاريخ والجماعات التى كونها والآثار التى خلفها فوق هذا الوادى فلا زلنا نجهل حقيقة أمرها . وإن بحوث

(١) مما ساعدنى على فهم هذه الحقائق تجولى فى جهات متعددة بحوض النيل من منطقة البحيرات إلى البحر المتوسط فى الفترة بين عام ١٩٣٨ وعام ١٩٤١

(٢) مثل الجماعات الموجودة بجنوب المديرية الاستوائية بالسودان (بجهة نيمول) ومقاطعة أوغندة (بجهة نوير وموطير) ويطلق عليها الآن اسم (الملكية) نسبة إلى العساكر الرديف الذين تركوا هناك أثناء الفتح المصرى لتلك الجهات

جاك دى مرجان Jacques de Morgan ، وهنرى دى مرجان Henri de Morgan ، وفلنـدرز بترى Flinders Petrie وغيرهم تدلنا على أن من الممكن عمل دراسة وافية مقارنة لآثار ما قبل التـاريخ بحوض النيل إذا تعددت البحوث وتوفرت الوثائق

من هنا يظهر جلياً ميزة الثروة العلمية الموجودة بحوض النيل ، وأنها تفوق بكثير ما عداها من ثروات أوربا وآسيا واستراليا . فنرى مثلاً فى أوربا نوعاً واحداً من الدنية هى المدنية الغربيـة الحالية ، وفى استراليا نوعاً واحداً من المدنية كذلك وهى «المدنية المحدودة » وهكذا ؛ ولـكننا نشاهد بحوض النيل « مدنيات محدودة » عند الأشولى والـادى والأدك وغيرهم ، ومدنيات متوسطة مثل مدنية شمال السودان وريف مصر ، ومدنيات راقية مثل المدنية المصرية القديمة . ونشاهد أيضاً أن كثيراً من معالم تلك المدنيات[1] لم تزل باقية على حالتها الأولى برغم ما طرأ عليها من عناصر مدنيات أجنبية مختلفة

وإذا عنينا بدراسة تلك المدنيات وأسرعنا فى جمع معالمها وتحديد أوضاعها ومناطقها تهيأت فرصة طيبة لعلم الاجتماع وعلم تاريخ الأديان والجغرافيا البشرية واللغات وغيرها من العـلوم الاجتماعية الأخرى للاستفادة والاستزادة من الأدلة والبراهين فى توضيـح نظرياتها وتنميتها

تلك هى الفائدة العامة المرجوة من البحوث الأتنولوجية بحوض النيل ؛ أما فائدتها لمصر والسودان فإنه يكون من السهل

(١) إذا استثنينا البحوث التاريخية التى قام بها علماء الآثار وغيرهم وحاولنا أن نحصى البحوث الأتنولوجية بحوض النيل فاتنا لا نظفر إلا بالقليل منها لعدم توفر اليد العاملة في تلك الناحية ، فلم نر غير الأستاذين جورج سلجمان G. Seligman وإيفانز ريتشارد E. E. Evans Ritchard اللذين قاما بعدة تجارب على قبائل الزانده والنوير والشلوك والدنكا وغيرها ، ولم يعن بدراسة القبائل العربية الموجودة بشمال السودان غير مستر ماك ميكل Mac Maekel ونفر قليل من كتاب العربية مثل نعيم بشقير . وأما قبائل النوبة بمديريتى دنقلة وأسوان وقبائل البجة على سـواحل البحر الأحمر ، وريف مصر ، فان دراسة كل تلك الجماعات لم تزل بكراً

استخلاص العناصر الرئيسية لمدنية كل منهما مع معرفة اتصال تلك المدنيات ببعضها وأثر المدنيات الأخرى فيها ، فضلاً عما يكون لتلك البحوث من أثر واضح فى توجيه المصلحين[1] الاجتماعيين والدينيين وغيرهم نحو الغاية المنشودة فى جهادهم ونضالهم لرفع مستوى الشعب المادى والأدبى . وإذا تعينت أوضاع كل مدنية وحدودها بحوض النيل سهل على أبناء هذا الوادى أن يؤمنوا بحقيقة قوميتهم

(البقية فى العدد القادم)

محمد مهول عبد الحميد

(١) كما أن للعلوم الطبيعية مثل البيولوجيا والفزيولوجيا غاية عامة تسعى إليها وهى استخلاص القوانين الرئيسية التى يتعين بمقتضاها تركيب الخلية وشروط حياتها ونموها ، وعند البدء فى القضاء على مرض معين أو الاكثار من جنس معين أيضاً من الحيوانات أو النباتات، فعلى الأطباء وعلماء الحيوان والنبات أن يستشيروا البيولوجى والفزيولوجى فى هذا الصدد ؛ كذلك يتعين على المصلحين الاجتماعيين والدينيين وغيرهم أن يستنيروا بآراء علماء الاجتماع والأنتولوجيا فيما يبغون بناءه من مثل عليا للمجتمع لأنهم أقدر على تشخيص الداء ووصف الدواء

ابن خُـــرْدَاذبَه

للأســـتاذ كوركيس عواد

١ — تصدير

كانت مجموعة التصانيف الثمينة ، التى طبعها دى غويه De Goeje المستشرق الهولندى الذائع الصيت ، بعنوان « الخزانة الجغرافية العربيـة »[(١)] ، قد نالت استحسان جمهرة الباحثين ، وتقدير كبار العلماء ، ولا مراء أن تلك المؤلفات ، سطّرت لأصحابها اسماً ذهبياً على جبين الدهر ، وأبقت لهم ذكراً خالداً . وقد كان اهتمام ناشرها العلامة بتصحيحها ومقابلة روايات نسخها ، مدعاةً لإعجاب كل من وقف عليها ومجلبةً لإكبار ما عاناه فى تحريرها ، ودليلاً على ما اتّـصف به من علم واسع وصبر جميل

والذي يؤسف له أشد الأسف ، أن أكثر مؤلّفى[(٢)] هذه « الخزانة » هم من صنف العلماء المغمورين الذين نجهل الشيء الكثير من أمرهم . وحسبك أن تعلم أن أغلب كتب التراجم لم تتعرض لذكرهم ، وإن فعلت فبالشح والتقتير ! وكان المستشرق المذكور ، قد صرف جانباً من عنايته فى التعريف بكل واحد منهم فدوّن ما وسعه تدوينه ؛ ومع ذلك ظلّت هاتيك التراجم بحاجة إلى من يتبسّط فيها ، ويزيل عنها ما عالق بها من الاقتضاب . وقام بعد دى غويه من اهتم بهذا الشأن أيضاً ، فنشر الأب لامنس ترجمة حسنة للبشّارى المقدسى[(٣)] ، وتلاه الأستاذ أحمد أمين بك فكتب ترجمة ثانية له[(٤)] . ودوّن أخى ميخائيل عواد ترجمة وافية لابن حوقل[(٥)] . وها نحنُ أولاء نعرض على القرّاء ترجمة « ابن خرداذبه » مستقاة من المراجع الموثوق بصحتها . ومن الله التوفيق

(١) عنوانها باللاتينية Bibliotheca Geographorum Arabicorum وقوامها ثمانية مجلدات ، ظهرت طبعتها الأولى فى ليدن سنة ١٨٧٠ـ١٨٩٤

(٢) هؤلاء المؤلفون هم : ابن حوقل وابن خرداذبه وابن رسته ، وابن الفقيه الهمذانى والاصطخرى وقدامة بن جعفر والمسعودى والمقدسى واليعقوبى

(٣) لامنس : المذكرات الجغرافية فى الأقطار السورية (بيروت ١٩١١ ، ص ٣٤ — ٥٢)

(٤) مجلة الثقافة (العدد ٩ ، ص ٩ — ١١)

(٥) مجلة « الرسالة » العدد ٤٢٣ ، ص ١٧٧٨ — ١٧٨١

٢ — لفظة خرداذبه

إختلفت المراجع القديمة فى ضبط لفظة « خرداذبة » أيما اختلاف : فبعضها ضبطها بإسكان الراء[(١)] ، وبعضها بفتحها مع التشديد[(٢)] . ومنها من كتبها بذالين معجمتين بينهما ألف[(٣)] ، أو بدالين مهملتين بينهما ألف[(٤)] ؛ فى حين أن فريقاً آخر جعل من الدال الثانيـة ذالاً معجمة[(٥)] ، وهى الأوفق . فإن الـكلمة فارسية على ما يجيء بنا ، والدال الواقعة بعد حرف علّة تُعْجَم على القاعدة المشهورة . وهناك من أورد الباء مكسورة ، أو من أوردها مفتوحة[(٦)] ، أو من جعلها ياء[(٧)] ، فقد قال السيد مرتضى الزبيدى : « خرداذبه : بضم الخاء وسكون الراء وفتح الدال بعدها ألف وكسر الذال وسكون الياء التحتية وآخره هاء »

وهنالك اختلافات عديدة غير ما ذكرنا ، حصلت من جراء التلاعب بأحرف لفظة « خرداذبه » . ونحن على يقين من أن

(١) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للبشارى المقدسى (ص ٣٦٢) والفهرست لابن النديم (ص ١٤٩ طبعة فلوجل)

(٢) كتاب صورة الأرض لابن حوقل (ص ٥ طبعة كريمرز) ، وديوان البحترى (طبعة الجوائب بالأستانة سنة ١٣٠٠ هـ ، ١ : ٢١٠ ؛ أو طبعة المطبعة الأدبية ببيروت سنة ١٩١١ ، ص ٣٢٥ و ٣٢٦)

(٣) مختصر نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق للشريف الادريسى (طبعة رومة سنة ١٥٩٢ م ، ص ٧٠)

(٤) كتاب الديارات للشابشتى (مخطوط برلين رقم ٨٣٢١ الورقة ١٤ ب) ، والفهرست تعليقات الناشر ص ٥٨ ، ومروج الذهب للمسعودى ، طبعة باريس ١ : ١٣ و ٢ : ٧٠ و ٣٢٦ ، والمعجب فى تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشى ، طبعة دوزي في ليدن سنة ١٨٤٧ ، ص ٢٥٢ ، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ، ٤ : ٦٠٢ طبعة وستنفلد ؛ وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للحاج خليفة ٢ : ١٠١ — ١٠٢ و ٥ : ٥١٠ — ٥١١ طبعة فلوجل

(٥) الفهرست ص ١٤٩ ، والتنبيه والاشراف للمسعودى ص ٢٥ طبعة دى غويه ، أو ٦٥ — ٦٦ طبعة مصر ؛ والآثار الباقية عن القرون الخالية لأبى الريحان البيرونى ص ٤١ طبعة سخاو ، والكامل فى التاريخ لابن الأثير ٦ : ٢٣١ طبع الفرنج ومختصر نزهة المشتاق للادريسى ص ٣١٥

(٦) ابن حوقل ص ٥ ، والمقدسى ص ٣٦٢ ، والأغانى لأبى الفرج الأصفهانى فى أماكن مختلفة نذكرها فيما بعد

(٧) تاج العروس ٨ : ٣٢١ ، مادة : روم ؛ وكشف الظنون ٢ : ٤٢٣ طبعة استانبول الأولى ، ومقدمة ابن خلدون طبعة كاترمير فى باريس سنة ١٨٥٨ م ، ١ : ٩٣ ، وطبعة بولاق ص ٤٤ ، وطبعة بيروت الثالثة المشكولة سنة ١٩٠٠ ، ص ٥٣ ؛ ويلاحظ أن الخاء جاءت فى هذه الطبعة مفتوحة وهو تحريف ثان ، نظير ما ورد فى طبعة القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ ، ص ٤٢

أغلب ذلك إنما جاء على أيدى جهلة النساخ . ومما وقفنا عليه من الصور الممسوخة لهذه اللفظة : جرداذه[1] ، وجرداذبه[2] ، وجرداويه[3] ، وحرادو[4] ، وحراذبه[5] ، وحردادبه[6] ، وخرداذبة[7] وحردازبة[8] وخراداذبة[9] ، وخرداد[10] ، وخرداذة[11] ، وخردادية[12] وخرداذه[13] ، وخرزاد[14] ، ودارية[15] !

فهذه اثنتان وعشرون صورة مضطربة مشوشة ، جرت على أسل الكتبة والنساخ ، وإنما أوردناها بهذا الوجه من التفصيل ليكون القارئ على بينة من أمرها حين مراجعته المصنفات التي نوهنا بها في الحواشي

وفي معجم ريشاردسن الفارسي — العربي — الانكليزي[16] تفسير لمعنى لفظة خرداذبة . قال : إن معنى « خرداذ » بالفارسية مَلاك ، و « به » ، والباء موحدة مفتوحة : جيد أو صالح . فيكون مدلول اللفظة : الملاك الصالح

نخرج بالقارئ مما ذكرنا آنفاً ، أن أحسن الوجوه وأصحها في كتابة هذه التسمية الأعجمية هو «خرداذبة» بالضبط الذي نقلناه عن صاحب التاج مع مراعاة تصحيح الياء المثناة باء موحدة مفتوحة

(١) المقدسى ص ١٠٥ حاشية E ، و ٢٢٢ حاشية G ، و ٣٦٢ حاشية I
(٢) المقدسى ص ٤ حاشية L ، و ٦٨ حاشية F
(٣) الخطط للمقريزى مطبعة النيل ١ : ٢١٧ و ٢٣٦ و ٢٦٢
(٤) معجم البلدان مخطوط المتحف العراقى الرقم ٤ مادة : مقذونية
(٥) معجم البلدان مخطوط المتحف العراقى الرقم ٣ مادة : قسطنطينية
(٦) مروج الذهب بهامش الكامل لابن الأثير ١٠ : ٣٠ و ٣٤ و ٣٦ طبع القاهرة
(٧) تاريخ أبي الفداء المطبعة الحسينية بالقاهرة ٢ : ٢٣
(٨) كشف الظنون ١ : ٢١٥ استانبول
(٩) مقدمة ابن خلدون طبعة باريس ١ : ٩٣
(١٠) كشف الظنون ٥ : ٥٠٩ فلوجل
(١١) المقدسى ص ١٠٥ حاشية E و ٣٦٢ حاشية I
(١٢) الخطط للمقريزى مطبعة النيل ١ : ٢٩٦ و ٢٩٧ و ٣٤٤ و ٣٦٦ و ٣٧١
(١٣) المقدسى ص ٥٧ حاشية I و ١٨٩ حاشية G و ٢٢٢ حاشية G و ٢٤١ حاشية G
(١٤) المقدسى ص ٤ حاشية P
(١٥) مروج الذهب بهامش ابن الأثير ١ : ٩ طبع القاهرة وكذلك في طبعته المصرية سنة ١٣٤٦ هـ ١ : ٥ وطبعته المصرية الأخرى سنة ١٣٠٧ هـ ١ : ٥
(16) Richardson : Persian — Arabic — English Dictionary. (3 Rd Edition, London, 1829. Vol. I., P. 299 A., Vol. II., P. 904 B.)

٣ — من عرف باسم خرداذبة

ويحدثنا التاريخ ، أنه نشأ غير واحد ممن عرف بهذه التسمية هدانا البحث إلى أسماء خمسة منهم ، ودونك شيئاً عنهم :

الأول — خرداذبة الرازى الراوى : ذكره الطبرى[1] في حوادث سنة ٣١ للهجرة . وهذا لا يمت بصلة ما إلى الأربعة الآخرين الآتى ذكرهم .

الثانى — خرداذبة : جد أسرته الأعلى . وهو رجل فارسى من بلاد خراسان ، كان فى أول عهده مجوسياً ، ثم أسلم على يد البرامكة[2] . وهو أول من أسلم من أفراد أسرته .

الثالث — أبو عبد الله ابن خرداذبة : وهو ابن لخرداذبة المتقدم ذكره . لم نقف على ما يستحق التدوين من أخباره .

الرابع — عبد الله ابن خرداذبة ابن السابق ذكره . وهذا قام بفتوحات مهمة ، وأسند إليه منصب كبير فى عهد العباسيين ، أعنى به ولاية طبرستان . فقد روى الطبرى[3] ، وتابعه فى ذلك ابن الأثير[4] ، وأبو الفداء[5] ، فى حوادث سنة ٢٠١ للهجرة ، إن « فى هذه السنة ، افتتح عبد الله بن خرداذبة ، وهو والى طبرستان ، اللارز والشرز[6] من بلاد الديلم ، وزادها فى بلاد الإسلام ، وافتتح جبال طبرستان ، وأنزل شهريار بن شروين[7] عنها ، فقال سلام الخاسر[8] :

إنا لنأمل فتح الروم والصين ... بمن أذل لنا من مُلك شروين
فاشدد يديك لعبد الله إن له ... مع الأمانة رأيا غير موهون

(١) تاريخ الطبرى (السلسلة الأولى ، ص ٢٨٧٣)
(٢) الفهرست (ص ١٤٩ فلوجل ، أو ص ٢١٢ مصر)
(٣) تاريخ الطبرى (السلسلة الثالثة ، ص ١٠١٤ — ١٠١٥)
(٤) الكامل فى التاريخ (٦ : ٢٣١ من طبع الفرنج ، أو ٦ : ١٢١ بولاق ١٢٩٠ هـ)
(٥) تاريخ أبي الفداء (٢ : ١١٦ طبعة ريسكى سنة ١٧٩٠ م ، أو ٢ : ٢٣ مصر)
(٦) ذكرها ياقوت فى معجم البلدان . والذى فى طبعة ابن الأثير الأوربية : اللارز والشيزر ، وفى البولاقية : البلاذر والشيزر . وهما مصحفان .
(٧) فى تاريخ أبى الفداء : شهريار بن شهريار بن شروين .
(٨) هو سلم (بفتح الأول على الرواية المشهورة ، وبوزن سحاب على رواية ابن خلكان ، وكلاهما سائغ) الخاسر أحد شعراء الدولة العباسية ، مات فى أيام الرشيد . وأخباره فى طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ٣٠ — ٤٣ طبعة عباس إقبال ، لندن ١٩٣٩ ، والأغانى (٢١ : ٧٣ — ٨٤ طبعة الساسى) ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى (٩ : ١٣٦ — ١٤٠) ومعجم الأدباء لياقوت الحموى (٤ : ٢٤٧ — ٢٤٩ طبعة مرجليوث) ووفيات الأعيان لابن خلكان (١ : ٢٧٩ — ٢٨٠ بولاق ١٢٧٥ هـ) ونهاية الأرب للنويرى (٣ : ٧٨ — ٨١) .

وأشخص مازيار[1] بن قارن[2] إلى المأمون، وأسر أبا ليلى[3] ملك الديلم فى غير عهد فى هذه السنة » . انتهى كلام الطبرى

وقد تعرض ابن كثير لهذه الحادثة دون أن يذكر ابن خرداذبه وهذا نص كلامه[4] : « وفيها (سنة ٢٠١ هـ) افتتح نائب طبرستان جبالها وبلاد اللارز والشيرز [كذا] . وذكر ابن حزم أن سلماً الخاسر قال فى ذلك شعراً . وقد ذكر ابن الجوزى وغيره أن سلماً توفى قبل ذلك بسنين . فالله أعلم » اهـ

وقد أشار إليه الشابشتى بقوله[5] : « فذكر عبد الله ابن خرداذبه، أنه حضر مجلس المأمون يوماً ، وقد عرض عليه أحمد بن أبى خالد رقاعاً . . . »

وذكره أبو الفرج الأصفهانى بما يلى[6] : « أخبرنى الحرمىّ قال : حدثنا الدينارىّ قال : حدثنا اسحاق[7] قال : قالت لى زهراء الكلابية : ما فعل عبد الله بن خرداذبه ؟ فقلت : مات ! فقالت : غير ذميم ولا لئيم . غفر الله لصَداه[8] لقد كان يحبك ويعجبه ما سرك ... »

الخامس — أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه . وهو الذى عليه مدار كلامنا فى هذا البحث

٤ — عبيد الله بن خرداذبه

وهذا أشهر مَن ذكرنا من هؤلاء القوم ، وأعظمهم مكانة ، وأبقاهم اسماً . كان قد أُنيط به منصب « صاحب البريد والخبر[9] » بناحية الجبل[10] بفارس . على أن ما زاد فى شهرته وتخليد اسمه فى التاريخ ، هو المؤلفات التى صنّفها ، وسيأتى الكلام عليها فى موطن آخر من هذا المقال

وكان ابن خرداذبه قد نادَمَ « المعتمد » خامس عشر الخلفاء العباسيين وخُصّ به . وقد ساق المسعودى « المقالة الموسيقية[1] » لابن خرداذبه ، ومما جاء فى ثناياها قوله[2] :

« وذكر عُبَيد الله بن خرداذبة أنه دخل عليه [على المعتمد] ذات يوم وفى المجلس عدّة من ندمائه من ذوى العقول والمعرفة والحِجى ؛ فقال له : أخبرنى مَن أول من اتخذ العود ؟ قال ابن خرداذبة : قد قيل فى ذلك يا أمير المؤمنين أقاويل كثيرة . الخ »

إلى أن يقول[3] : « قال المعتمد : قد قلت يخاطب [ابن خرداذبة] فأحسنت، ووصفت فأطنبت ، وأقمت فى هذا اليوم سوقاً للغناء وعيداً لأنواع الملاهى . وإن كلامك لمثل الثوب الوشى ، يجتمع فيه الأحمر والأصفر والأخضر وسائر الألوان . فما صفة المغنّى الحاذق ؟ قال ابن خرداذبة : المغنّى الحاذق يا أمير المؤمنين ... الخ »

ويختم المسعودى الحكاية بقوله[4] :

« فهذه - يا أمير المؤمنين - جوامع فى صفة الإيقاع ومنتهى حدوده . ففرح المعتمد فى هذا اليوم وخلع على ابن خرداذبة وعلى من حضره من ندمائه ، وفضّله عليهم ، وكان يوم لهو وسرور »

(يتبع — بغداد) **كوركيس عواد**

(١) فى فتوح البلدان للبلاذرى (ص ١٣٤ و ٣٢٩ و ٣٤٠ طبعة دى غويه فى ليدن) : مايزديار بن قارن

(٢) فى بعض الروايات : قارون (٣) فى تاريخ أبى الفداء : أبا ليلى

(٤) البداية والنهاية فى التاريخ (١٠ : ٢٤٧ — ٢٤٨)

(٥) كتاب الديارات (الورقة ١٤ ب مخطوط . وهو مما أعددناه للنشر) وقد نقل هذه الرواية عنه أمدروز Amedroz فى حاشية الصفحة ٤٧ من « ذيل تجارب الأمم » للوزير أبى شجاع

(٦) الأغانى (٥ : ٧٦ طبعة الساسى ، أو ٥ : ٣٢٨ طبعة دار الكتب المصرية) (٧) هو اسحاق بن ابراهيم الموصلى

(٨) الصدى : جسد الانسان بعد موته

(٩) فى تاريخ التمدن الاسلامى لجرجى زيدان (١ : ٢٢٠ — ٢٢٢) بيان حسن عما كان يعهد به إلى صاحب البريد وما كان له من رفيع المنزلة فى الدولة العباسية (١٠) هى بلاد ماذي Media القديمة

(١) سيأتى خبر هذه المقالة فى معرض الكلام على مؤلفات ابن خرداذبة

(٢) مروج الذهب (٨ : ٨٨ طبعة باريس)

(٣) مروج الذهب (٨ : ٩٥ — ٩٦ طبعة باريس)

(٤) مروج الذهب (٨ : ٩٩ — ١٠٠ طبعة باريس)

في الفلسفة الإسلامية

إخوان الصفـــــاء

للأستاذ عمر الدسوقي

— ٤ —

النفس الإنسانية

تستمد النفس الإنسانية قوتها من النفس الكلية ؛ ومراتب النفوس ثلاثة أنواع : منها مرتبة الأنفس الإنسانية ، ومنها ما فوقها وما دونها . والمعروف من هـذه النفوس خمس ؛ فالتي فوقها اثنتان : رتبة الملكية ، ورتبة القدسية ؛ فرتبة الملكية هي رتبة الحكمة ، ورتبة القدسية هي رتبة النبوة . والتي دونها اثنتان : النفس الحيوانية والنفس النباتية

ومن الأخلاق والقوى ما ينسب إلى النفس النباتية الشهوانية ، ومنها ما ينسب إلى الحيوانية الغضبية ، ومنها ما ينسب إلى النفس الإنسانية الناطقة ، ومنها ما ينسب إلى النفس العاقلة الحكيمة ، ومنها ما ينسب إلى القدسية[1] . فالمنسوب إلى النباتية : الغذاء ، والرغبة في المشروبات ، والحرص في طلب الشهوات . والمنسوب إلى الحيوانية الغضبية : الشهوة الجنسية ، والانتقام ، وشهوة الرئاسة ، وكل الغرائز الشهوانية ، والمحافظة على بقاء النوع ؛ ويشترك في هـذه الحيوان والإنسان . والمنسوب إلى النفس الناطقة : شهوة العلم والمعرفة ، والعز والرفعة . والمنسوب إلى الملكية والقدسية : شهوة التقرب لربها والزلفى لديه . والسبب في وجود هذه الغرائز بنفوسنا أنه يوجد في المعلول دائماً شيء من العلة ، فإن انعدم في المعلول سبب أو غير ذلك فهي كما في الحيوان والنبات ؛ والله الذي هو علة الوجود حي باق لا يعرض له الفناء ، ولهذا صارت الموجودات محبة للبقاء كارهة للفناء ؛ ولهذا فالسعادة هي أن يبقى كل موجود أطول ما يمكن على أفضل حالاته وأتم غاياته لا ينقصه شيء ؛ حتى يكون شبيهاً بالإله

(١) ج ٢ من الرسائل ص ٢٤٠ — ٢٤١ . وترى في تقسيم النفس وأثر ذلك في الأخلاق آراء أفلاطون مرددة

الفضيلة

إذا ظهرت من الطبيعة هذه الشهوات المركزة في الجبلة ، وكانت على ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي من أجل ما ينبغي سميت خيراً ؛ ومتى كانت بخلافه سميت شراً . وإذا فعل الإنسان ذلك باختياره وإرادته على ما ينبغي، بمقدار ما ينبغي ، من أجل ما ينبغي ، كان صاحبه محموداً ؛ ومتى كان بخلاف ذلك كان سفيهاً جاهلاً[1] وكل نفس خادمة للنفس التي أعلى منها ، وصلاحها في امتثالها لأوامرها[2]

قوى النفس

وللنفس الإنسانية قوى كثيرة تساعدها على أن تصير عقلاً بالفعل ، وأفضلها القوى المفكرة لأنها تؤدي إلى المعرفة ، والمعرفة لباب حياة النفس . ونفس الطفل في أولها صحيفة بيضاء لم ينقش عليها شيء ، وكل ما تحمله إليها الحواس الخمس تتناوله القوة التخيلة وتجمعه ، ومجرى هذه القوة مقدم الدماغ ، ثم تدفعه إلى القوة المفكرة ومسكنها وسط الدماغ ، وهي تميز بعضه من بعض وتعرف الحق والباطل ، ثم تؤديه إلى الحافظة التي مجراها مؤخر الدماغ . والقوة الناطقة تعبر عما في النفس بالألفاظ للسامعين ، أو تقيدها بصناعة الكتابة ، فيكون للنفس خمس حواس باطنة تقابل الخمس الظاهرة[3]

الموت والحياة

الإنسان مكون من جسم ونفس روحانية ، والجسم يريد البقاء في الدنيا ، والنفس الروحانية تريد الرحيل إلى الآخرة[4] ؛ وعلى هذا فالموت والحياة نوعان : جسدي ونفساني ، والحياة الجسدية ليست شيئاً سوى استعمال النفس الجسد ، والموت الجسدي ليس

(١) رسائل ج ٢ ص ٢٤٧ وهنا تأثر إخوان الصفاء بمذهب أرسطو في نظرية الوسط

(٢) يمثل هذا رأي أفلاطون في خضوع الشهواني والجزء الشريف من النفس للعقل وأن صلاحهما في امتثال أوامره . راجع R. L. Nettleship في كتابه : Lectureson the Republic of Plato

(٣) رسائل ج ٢ ص ٣٤٧ — ٣٥٠

(٤) ولهذا يقول إخوان الصفاء إن أعمال الانسان أتت مثنوية متضادة كالموت والحياة والنوم واليقظة والعلم والجهل ... الخ فالصفات الردية تنسب للجسم والجنة تنسب للروح

شيئاً سوى تركها استعماله ؛ كما أن اليقظة ليست شيئاً سوى استعمال النفس الحواس ، وليس النوم شيئاً سوى تركها استعمالها ، أما النفس فحياتها ذاتية لها ، وذلك أنها بجوهرها حية بالفعل علامة بالقوة فعالة في الأجسام والأشكال ، وموتها هو جهالتها بجوهرها وغفلتها عن معرفة ذاتها ، وذلك عارض لها من شدة استغراقها في بحر الهيولى ، فكما أن ولادة الطفل ليست شيئاً سوى خروجه من الرحم ، فكذلك ولادة النفس ليست شيئاً سوى مفارقة النفس إياه ، والنفس لا تعرف السعادة إلا بعد ما تفارق الجسم ، وعلى ذلك فالموت حكمة لأنه سبب لحياة الأبد[١]

وبعد مفارقة النفس الجسد تبقى الشقية هائمة بهمومها معذبة دون فلك القمر ، سائحة في بحر الهيولى ، هاوية في عالم الكون والفساد مع أبناء جنسها من الأمم الخالية إخوان الشياطين وجنود إبليس أجمعين : « كلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها »

وهذه هي جهنم عند إخوان الصفاء ، ونراهم يتابعون فلاسفة اليونان والمسلمين في قولهم بحشر الأرواح دون الأجساد ، وأن العذاب عذاب الروح لا الجسد . ولقد رد عليهم الغزالي في تهافت الفلسفة رداً لا بأس به

أما النفوس الخيرة عند إخوان الصفاء فتصعد إلى عالم الأفلاك وتصير ملائكة بالفعل ، وهذه هي الجنة عندهم ؛ والثواب هنا ثواب روحي لا جسدي . ولقد فصل الفارابي هذه النظرية في مدينته الفاضلة ووضحها ابن سينا في النجاة والشفاء

خلود النفس

يعتقد إخوان الصفا اعتقاداً جازماً بأن الأجساد حبس للنفوس أو حجاب لها أو صراط أو برزخ ، والنفوس تعلم تمام العلم بأن لها وجوداً آخر خيراً وأبقى وألذ وأحسن من هذا الوجود والبقاء الذي مع الجسد ، فإذا استتمت الأنفس الجزئية وكملت صورتها ومعارفها ، واستيقظت من هذه الغفلة وأحست بغربتها في هذا العالم الجسماني وأنها في أسر الطبيعة تائهة في بحر الهيولى ، وعرفت فضيلة جوهرها ونظرت إلى عالمها ، وشاهدت تلك الصور الروحانية المفارقة للمادة ، إذا أدركت هذا كله هانت عليها مفارقة الجسد وسمحت بإتلافه وفي هذا سعادتها[١]

وموت النفس هو جهلها بجوهرها وغفلتها عن معرفة ذاتها ، والنفوس السعيدة هي التي قطعت أيام الحياة الدنيا بالأعمال الصالحة وسارت سيرة عادلة ، وتخلقت بأخلاق جميلة ، وبحثت عن حقائق المعقولات وأحكمتها ؛ فإذا ما بلغت آخر العمر اشتاقت إلى مفارقة هذه الحياة ، فلو لم يكن الموت لما أمكنها الصعود إلى ملكوت السماء ولا الوصول إلى الجنة[٢]

وعلى العكس من ذلك نفوس الأشقياء ، فإنها بما اعتادته من لذات هذه المحسوسات ، وقد منعت الوصول إليها والعودة للجسم تقول : « يا ليتنا نُرَدُّ فنعملَ غير الذي كنا نعمل » وتبقى متألمة بذاتها معذبة من سوء عاداتها دون فلك القمر

وعلى هذا فالنفوس البشرية الخيرة ملائكة بالقوة ، فإذا فارقت أجسادها كانت ملائكة بالفعل . والنفوس الشريرة شياطين بالقوة فإذا فارقت أجسادها كانت شياطين بالفعل[٣]

أما يوم القيامة ونهاية العالم فيكون بمفارقة النفس الكلية للعالم ورجوعها إلى الله[٤]

الله والعالم

لما كان الله تام الوجود كامل الفضائل عالماً بالكائنات قبل كونها ، قادراً على إيجادها متى شاء ، لم يكن من الحكمة أن يحبس تلك الفضائل في ذاته فلا يجود بها ويفيضها ؛ فإذا بواجب الوجود قد أفاض الجود والفضائل منه كما يفيض النور والضياء من عين الشمس[٥] . والله سبحانه لا يباشر الأفعال بذاته ، بل يقتصر على الأعمال الكلية ، أما التفصيلات فيدعها لملائكته الموكلين « وما أمرُنا إلا واحدةٌ كلمحٍ بالبصر » ، ويقول تعالى كذلك : « وما خلْقُكم ولا بعْثُكُم إلا كنفْسٍ واحدة » . ونسبة الأفعال التي تجري على أيدي عباده إلى الباري سبحانه كنسبة أفعال

(١) الرسائل جـ ٣ ص ٦١

(١) رأى إخوان الصفاء في النفس وخلودها ورجوعها بعد إتمام كمالها في هذه الحياة الدنيا هو الرأي الذي أوضحه ابن سينا في قصيدته

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تدلل وتمنع

(٢) رسائل جـ ٣ ص ٦١

(٣) الرسائل جـ ٣ ص ٩٤

(٤) رسائل جـ ٢ ص ٤١

(٥) رسائل جـ ٣ ص ١٩٧ . وأنت ترى من هذا أنهم يقولون بنظرية الفيض على طريقة الأفلاطونية الحديثة . وقد تكلمت عنها آنفاً

الملوك إذا قيل بنى فلان الملك مدينة كذا ، وحفر نهر كذا ، فهؤلاء الملوك قد أمروا فقط ، أما مباشرة العمل فتركت لغيرهم [1]

وعلم الله تعالى محيط بما يحوى العقل من المعقولات ، والعقل محيط بما تحوى النفس الكلية من الصور ، والنفس محيطة بما تحوى الطبيعة من الكائنات ، والطبيعة محيطة بما تحوى الهيولى من المصنوعات [2]

تأثير إخوان الصفا

قد بينا سابقاً تلك الدعاية المنظمة التى قام بها إخوان الصفا لحمل الناس على الدخول فى مذهبهم ، وقد أدى نشر هذه الرسائل الآنفة الذكر إلى نشر الفلسفة ومبادئها ، واشتغال الناس بها ؛ إذ كتبوها بلغة سهلة تناسب عقلية الجمهور ، ومزجوها بالدين مقتبسين كثيراً من آى القرآن الكريم حتى لا ينفرون منها ، ووضعوا فيها مبادئ عامة من كل فن ، فكانت من الوجهة العلمية موسوعة احتذى حذوها كثير من المؤلفين فيما بعد .

وقد حملت الرسائل على رجال الدين والفقه ، وأدى ذلك إلى اشتغال كثير من هؤلاء بالرد عليهم وتكفيرهم كابن تيمية وابن حجر وغيرهما . ثم إن رسائل إخوان الصفا كانت أول محاولة للتوفيق بين الدين والفلسفة ، تلك الخطة التى اقتفاها الفارابى وابن سينا وابن رشد فيما بعد ، والتى تأثروا فيها بإخوان الصفا كما تأثر هؤلاء بالأفلاطونية الحديثة بعد أن تنصرت ونقلها السريان إلى لغتهم محاولين أن يتخذوا منها دعامة لتأييد مذاهبهم المتعددة ...

والرسائل كانت دستوراً لطائفة الإسماعيلية كما رأينا من قبل فيها رموز وإشارات واصطلاحات لا يعرفها إلا الأتباع المخلصون . على أن هناك طائفة ممن اشتهروا بالعلم والفلسفة قد تأثروا بهم ومنهم : أبو حيان التوحيدى ، وقد عرفنا أنه كان الصلة بين جماعة البصرة وجماعة بغداد ، وقد اتهم بالزندقة من أجل ذلك ، حتى جاء فى طبقات الشافعية ما يأتى : « زنادقة الإسلام ثلاثة : ابن الراوندى ، وأبو حيان التوحيدى وأبو العلاء المعرى » ، ومنهم يحيى بن عدى [1] المترجم المشهور والذى كان أحد أعضاء فرقة بغداد ، وقد نشرت له مجلة اللغات السامية الأمريكية كتاباً فى تهذيب الأخلاق تشبه تعاليمه ما عند إخوان الصفا فى كثير من الموضوعات : ومنهم كذلك جماعة بغداد ورئيسهم السجستانى أبو سليمان وقد رأينا كيف أن أبا حيان قد أخذ رسائل إخوان الصفا وعرضها عليه ؛ وعرفنا ما قاله أبو العلاء المعرى فيهم عند مغادرته بغداد وكيف سماهم إخوان الصفا

نعم إن الغزالى يعرض بفلسفة إخوان الصفاء ، ويعدها فلسفة العامة من الناس ، بيد أنه لا يتحرج من الاقتباس منها ، وهو مدين لفلسفتهم بأكثر مما يعترف [2]

(بيروت) — عمر الدسوقى

(١) رسائل ج ٢ ص ١٠٩ ، وأنت ترى كيف أنهم يؤولون ظاهر آيات القرآن ، وقد أقروا بأن للقرآن أغراضاً أخرى غير التى يفهمها الناس وقولهم بأن الله لم يخلق العالم مباشرة يعارض العقيدة الاسلامية ، وقد رد عليهم الغزالى فى تهافت الفلاسفة

(٢) رسائل جـ ٢ ص ٩٨

(١) هو أبو زكريا يحيى بن عدى بن حميد ولد فى تكريت سنة ٨٩٣م وتوفى فى بغداد سنة ٩٧٤ م وكان رئيساً لأساقفة الكنيسة اليعقوبية ، وممثلا لنشاط هذه الطائفة فى المساهمة والنقل والترجمة .

(٢) أنظر كتاب المنقذ من الضلال ص ١٤٠١٣ طبعة مصر عام ١٣٠٩ ودى بور ص ١١٣ ترجمة أبى ريدة ، ورسالة الطيباوى التى أشرنا إليها آنفاً

آثار من أولية الشعر
في الشعر الجاهلي
للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

ظهرت فى عصرنا دعوى عريضة ، يذهب أصحابها إلى إنكار صحة الشعر الجاهلى ، وكان من أكبر ما قامت عليه تلك الدعوى أن هذا الشعر على حسب ما روى لنا يخالف سنة النشوء والارتقاء فيظهر أول ما يظهر بالغاً غاية الكمال ، لا شىء ينقصه من جهة الوزن ، ولا من جهة القافية ، ولا من جهة اللفظ ، ولا من جهة المعنى ، ومثل هذا لا يمكن قبوله ، لأن سنة النشوء والارتقاء من السنن الطبيعية التى لا يشذ شىء عن حكمها ، ويجب إنكار ما يأتى على خلاف مقتضاها

فإذا قيل لهؤلاء الناس إن هذا الشعر الجاهلى كان قبله شعر قديم لم يصل إلينا ، وقد مر هذا الشعر القديم فى أطوار تدرج فيها على سنة النشوء والارتقاء ، حتى وصل إلى هذا الشعر الجاهلى فجرى أمره على تلك السنة أيضاً ، ولم يكن فيه شذوذ عنها ، يتخذ ذريعة إلى إنكار صحته ، والطعن فى نسبته إلى عصره

إذا قيل لهم هذا قالوا إن هذا الشعر القديم حديث خرافة أيضاً ، لأنه لو صح وجوده لكانت له آثار ولو قليلة فى الشعر الجاهلى ، ولم ينقطع أثره هكذا مرة واحدة ، لأن هذا يخالف سنة النشوء والارتقاء أيضاً ، فهى كما تقضى بالتدرج من غير الأصلح إلى الأصلح ، تقضى ببقاء آثار قديمة فيما تتدرج إليه ، لتكون شاهدة بهذا التدرج ، وهى المعروفة فى مذهب النشوء والارتقاء باسم الأعضاء الأثرية

ولا شك أن هذا اعتراض له قيمته ، لأنه يقوم على شاهد من العلم ، فلا يقوم فى وجهه إلا شاهد يعتمد على العلم كما يعتمد ويتفق مع ما يقضى به مذهب النشوء والارتقاء من سنة التدرج ولا يكفى فى إثبات ذلك الشعر القديم الإشارة إليه فى مثل قول امرئ القيس :

عُوجا على الطَّلل المحيل لأننا ... نبكى الديار كما بكى ابن خِذام

وقول عنترة :

هل غادرَ الشعراء من مُتَرَدَّم ... أم هل عرفتَ الدار بعد توهُّم

وقول زهير :

ما أرانا نقول إلا مُعاراً ... أو معاداً من لفظنا مَكرُورا

لأنه لا قيمة لهذه النصوص إذا لم يوجد فى الشعر الجاهلى آثار من ذلك الشعر القديم تشهد بوجوده ، وتبين بعضاً من حاله قبل أن يصل إلى طور الشعر الجاهلى ، لأنه لا يعقل أن يطفر الشعراء كلهم إلى هذا الطور كما طفر مهلهل وامرؤ القيس وغيرهما من القدماء ، ولا يوجد بينهم متخلفون قد تشبثوا بشىء مما كان عليه الشعر قبل هذا الطور

فذلك الشعر القديم لا بد أنه لم يكن مستقيم الوزن ، ولم يكن يجرى على هذه البحور التى يجرى عليها الشعر الجاهلى ، فأين أثر ذلك فى هذا الشعر ؟

وهو أيضاً لا بد أن يكون مضطرب القافية ، لا يجرى فيها على سنن مُطَّرد ، ولا يتأنق فيها كما تأنق الشعراء الجاهليون ، فأين أثر ذلك فى شعرهم ؟

فإذا كان ذلك الشعر قد وجد حقاً ، فإنه لا بد أن يبقى أثر من فساد وزنه وقافيته فى الشعر الجاهلى ، حتى يكون دليلاً ناطقاً بأنه درج على سنة التدرج ، ويكون لوجوده فيه دلالة الأعضاء الأثرية على أصلها ، وهى دلالة لا تقبل شكا ، ولا يمكن أن يجادل فيها أولئك الذين ينكرون صحة الشعر الجاهلى .

وقد عثرت على بعض من هذه الآثار فى هذه الأيام ، ولا أنكر أنها فى كتب متداولة بين الناس ، ولكنهم يمرون عليها ولا يعرفون قيمة دلالتها ، ولا يلتفتون إلى أنها آثار من ذلك الشعر القديم الذى انطوى عنا خبره ، ولا يدركون أن منزلتها فى الدلالة على ذلك الشعر ، كمنزلة تلك الآثار المطوية فى بطون الأرض ، فى دلالتها على تاريخ آبائنا الأقدمين .

وممن وجد فى شعره بعض هذه الآثار عبيد بن الأبرص ، وهو شاعر قديم معاصر لمهلهل وامرئ القيس ، وقد روى صاحب الأغانى عن محمد بن سلام أنه قال :

عبيد بن الأبرص قديم الذكر ، عظيم الشهرة ، وشعره مضطرب ذاهب لا أعرف له إلا قوله :

أقفرَ من أهله مَلْحوبُ

ولا أدرى له ما بعد ذلك

وهذه القصيدة التى ذكرها ابن سلام أشهر قصائد عبيد ابن الأبرص ، ولكنها مع هذا مضطربة الوزن ، مختلة القافية ، ولا يزال علماء العروض مختلفين فى أمرها ، فمن قائل إنها من البسيط ، ومن قائل إنها من الرجز ، ومن قائل إنها خليط منهما ، وذلك أنك تراه يقول فى مطلعها :

أقفر من أهله ملحوبُ　　فالقُطَبيّاتُ فالذَّنوبُ

وهذا من مُخَلَّع البسيط ، ثم تراه يقول :

أفلح بما شئت فقد يُدرَكُ بالضـ　　ـعفِ وقد يُخدَعُ الأريبُ

وشطره الأول من الرجز ، وشطره الثانى من مخلع البسيط

ثم يقول بعد هذا فى اختلال وزن واضطراب قافية :

لا يعظ الناسُ من لا يعظ الدّ　　هرُ ولا ينفع التّلبيبُ

إلا سَجِيّاتُ ما القلوبِ　　وكم يصيرَنّ شانئاً حبيبُ

وقد ذكر ابن رشيق أن هذه القصيدة كادت تكون كلاماً غير موزون بعلة ولا غيرها ، حتى قال بعض الناس : إنها خطبة ارتجلها ، فاتزن له أكثرها

والحق عندى أن هذه القصيدة تمثل أولية الشعر العربي خير تمثيل ، وتبين أنه لم يكن له أوزان محدودة يتقيد بها ، ولا بحور متميزة لا يتعداها ، ولا تجرى فيه الحركات والسكنات على لحن مطرد ، لا يتغير ولا يتبدل فى القصيدة الواحدة ، وأن عبيداً فى هذا يمثل بين شعراء عصره حال الشاعر المتخلف ، لأنه لم يتهيأ له من أسباب النهوض ما تهيأ لهم ، فجرى فى شعره مجراه الأول ، ولم يعبأ بما تقيد به شعراء عصره فى أمر الوزن

ومما يروى لعبيد أيضاً من الشعر المختل الوزن قوله :

هى الخمر تكنى الطِّلا　　كما الذئب يكنى أبا جعده

ومما وقع من هذا الشعر قول علقمة الفحل ، وهو شاعر قديم

دافعت عنـه بشعرى إذا　　كان فى الغد أجحد

فكان فيـه ما أتاك وفى　　تسعين أسرى مقرنين فى صفد

دافع قومي فى الكسر إذ　　طار بإظهار الظبـاة وقد

فأصبحوا عند جفنة فى الأغـ　　ـلال منهم والحـديد عقد

إذ مجنب فى الجنبين وفى　　النكهة عن باد ورشـد

فهذه القطعة مما أدخل فى جملة شعر علقمة ، وهى مختلة الوزن حتى قال بعضهم إنها ليست بشعر

وأما القافية فإنها لدقتها كانت أحكامها تخفى على كثير من الشعراء الجاهليين ، فبقى فيها كثير من آثار أولية الشعر كالإقواء والسناد وغيرهما من عيوب القافية ، حتى قيل إن الإقواء كان مذهب العرب فى شعرهم ، ومن ذلك قول امرئ القيس :

أحنظلُ لو حاميتمُ وصبرتمُ　　لأثنيتُ خيراً صالحاً ولأرضانى

ثياب بنى عوف طهارى نقيّة　　وأوجههم عند المشاهد غرانُ

عُوَيرٌ ومن مثل العوير ورهطه

وأسعدَ فى ليل البلابل صفوانُ

فقد أصبحوا والله أصفاهم به　　أبرَّ بأيمان وأوفى بجيرانِ

وكذلك كان النابغة الذبيانى يقوى فى شعره ـ وهو من متأخرى شعراء العصر الجاهلى ـ وكان لا يعرف أن الإقواء من عيوب القافية ، ومن إقوائه قوله فى داليته :

أمِن آل ميّة رائحٌ أو مُغتَدِ　　عجلانَ ذا زادٍ وغير مُزوَّدِ

زعم البوارحُ أن رحلتنا غداً　　وبذاك خبّرنا الغرابُ الأسودُ

وقوله أيضاً :

سقط النصيفُ ولم تُرد إسقاطه　　فتناولته واتقتنا باليـدِ

بمُخضَّب رخص كأن بنانه　　عَنَمٌ يكاد من اللطافة يُعقَدُ

فلما ظهر الإسلام نهض العرب ورق وجدانهم ، ولطف ذوقهم ، فعرفوا هذه العيوب وتجنبوها ، وافتخروا بذلك على الشعراء قبلهم ، كما قال ذو الرُّمّة :

وشعرٍ قد أرقتُ له طريفٍ　　أجانبه المُسانَدَ والمحالا

وقال جرير :

فلا إقواء إذ مَرَسَ القوافى　　بأفواه الرواة ولا سِنادا

وبهذا استقامت قوافى الشعر ، واتسقت أوزانه ، بعد أن مرّ فى تلك الأطوار ، ولم يشذ فى ذلك عن سنّة النشوء والارتقاء

عبد المتعال الصعيدى

٢٧ ـ المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد دليم لين
للأستاذ عدلي طاهر نور

الفصل التاسع

اللغة والأدب والعلوم

احتفظت القاهرة بشهرتها النسبية التي امتازت بها عدة قرون ، أنها خير مدرسة للأدب العربي وعلم التوحيد والفقه الإسلامي . ولا جرم أن التعلم انحط كثيراً عند العرب عامة إلا أنه كان أقل انحطاطاً في القاهرة . فشهرة علماء هذه المدينة لا تدانيها شهرة . ولا يزال مسجدها « الجامع الأزهر » يجذب إليه الطلاب من كافة أنحاء العالم الإسلامي .

ويلاحظ أن اللهجة العربية التي يتكلمها أهل القاهرة من الطبقتين الوسطى والعليا أدنى من لهجات بدو الجزيرة العربية وسكان المدن المجاورة مباشرة من حيث النطق وقواعد الصرف والنحو ؛ إلا أنها تفضُل اللهجات السورية كثيراً ، واللهجات المغربية أكثر . وأهم الخصائص التي تلاحظ في نطق المصريين ما يأتي : ينطق القاهريون ومعظم المصريين حرف الجيم جامداً بينما يعطشه عرب الجزيرة وسورية وغيرهما . ولكن يجدر أن نلاحظ أن حرف الجيم ينطق جامداً (1) في بعض جنوب جزيرة العرب وهو منشأ اللغة العربية كما يقال . وينطق حرف القاف همزة حيث يسود نطق الجيم الأول ، غير أن المثقفين ينطقونه قافاً على حقيقته . وتنطق الجيم معطشة أو قريبة من ذلك في بعض مناطق مصر ، كما تنطق القاف جيماً . وينطق المصريون جيماً وكذلك أغلب الشعوب التي تتكلم العربية حرف الثاء تاء والذال دالاً والظاء ضاداً أو زاياً أحياناً . ومن أهم خصائص اللهجة العربية المصرية من حيث التركيب إضافة حرف الشين للدلالة على النفي ، مثل « ما يرضاش » بدلاً من « ما يرضى » و « ما هوش طيب » (ويقول العامة موش طيب) بدلاً من « ما هو طيب » ووضع اسم الإشارة بعد المشار إليه مثل « البيت ده » ، وكثرة استعمال التصغير في الصفات بلا مسوغ مثل « صغيّر » بدلاً من صغير و « قريّب » بدلاً من قريب

ولا يوجد فرق كبير بين اللهجة الدارجة والفصحى كما يفرض المستشرقون الأوربيون . ويمكن وصف اللهجة الدارجة أنها تبسيط للهجة القديمة بحذف حركات الكلام الأخيرة خاصة ، وبوجه آخر إهمال التفرقة بين أنواع إعراب الاسم المختلفة وبعض أشخاص الأفعال (1) . كما أنه لا يوجد فرق كبير بين اللهجات العربية في البلدان المختلفة كما يتصور بعض من لم يخالط أهل هذه البلاد . وتتشابه هذه اللهجات أكثر مما تتشابه لهجات بعض مناطق انجلترا المختلفة . وتفيض اللغة العربية بكلماتها المترادفة ، فتجد بعض الكلمات تستعمل في بلد ما وما يرادفها في بلد آخر . فيقول المصريون مثلاً « لبناً » بينما يقول السوريون « حليباً » ، ويطلق السوريون (اللبن) على الضرب (اللبن الحامض) . وكذلك الخبز يسميه المصريون « عيشاً » بينما يطلق عليه في البلدان العربية الأخرى خبزاً ، إلى غير ذلك من الأمثلة العديدة من هذا النوع . ويلاحظ أن نطق المصريين ألطف وأعذب من نطق السوريين وأكثر البلدان التي تتكلم العربية

والأدب العربي غني شامل ، وأهميته في كمية كتبه أكثر مما هي في كيفيتها . ويبلغ عدد الكتب التي تبحث في الدين والفقه الربع تقريباً ، يتلو ذلك كتب النحو والصرف والمعاني والبيان

---

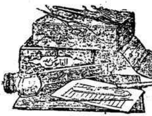
(١) ويبدو على الأرجح أن عرب مصر احتفظوا في هذه الحالة بنطق كان مألوفاً ، إن لم يكن عاماً ، عند أسلافهم في أسيا . أنظر De Sacy Grammaire Arabe الطبعة الثانية الجزء الأول ص ١٧ و ١٨

(١) بدأ العرب يبسطون لغتهم في القرن الأول للهجرة تبعاً لانتشارهم في البلدان الأجنبية التي ما كانت تستطيع أن تتعلم لغة الفاتحين الصعبة . ولاثبات ذلك أنظر « الأخبار الإسلامية » لأبي الفداء . عربي ولاتيني Abulfedae Annales Muslemici الجزء الأول ص ٤٣٢ و ٤٣٤ . ويمكن تقديم عدة أدلة أخرى إلا أن هذا الأمر معروف . وتؤكد العربية الحديثة بمشابهتها للعبرية دلائل الانحطاط الظاهر في تلك اللغة الأخيرة

والفروع المختلفة لعلم اللغة Philology . وتشغل كتب التاريخ (وعلى الأخص تاريخ الأمة العربية) والجغرافية المرتبة الثالثة ، وأخيراً الشعر . أما المؤلفات الطبية والكيميائية والرياضية والجبرية وغيرها فقليلة جداً بالنسبة لغيرها

ويوجد في القاهرة عدة مكتبات كبرى ، ويلحق أغلبها بالمساجد ، ويتألف معظمها من كتب التوحيد والفقه ومعاجم اللغة ؛ إلا أن هذه المكتبات مهملة إهمالاً يرثى له ، وتفنى محتوياتها بسرعة وإلى حد بعيد لعدم أمانة القائمين بأمرها أو باستعمالها وإهمالهم . ويقتني بعض التجار الأثرياء وغيرهم مكتبات حسنة . ويبلغ عدد تجار الكتب في القاهرة — كما أخبرت — ثمانية فقط[1] . إلا أن حوانيتهم غير مجهزة تجهيزاً حسناً . ويدور الكتبي كلما عثر على كتاب نفيس على حرفائه وهو يكاد يثق بالحصول على مشتر . وقلما تخاط أوراق الكتاب معاً وإنما يدرج الكتاب عادة في غطاء مجلد ، وكثيراً ما يكون له غلاف[2] خارجي من الورق القوي والجلد

وتتكون (الكراسة) من خمس ورقات مزدوجة كل منها في الأخرى ، وترتب الأوراق ملازم صغيرة دون أن تخاط فيستطيع أكثر من قارئ استعمال الكتاب معاً ، فيتناول كل كراساً ، وتوضع الكتب مسطوحة الواحد فوق الآخر ، ويكتب عنوان الكتاب على واجهة الغلاف الخارجي أو طرف الأوراق ، وورق الكتب غليظ لامع ، ويستورد غالباً من البندقية ويلمّع في مصر . والحبر كثيف لزج ، ويستعمل القلم للكتابة وهو أكثر ملاءمة للخط العربي . وعندما يكتب العربي يضع الورق فوق ركبته أو على راحته اليسرى ، أو على (مسندة) تتكون من بعض أوراق قد يزيد عددها عن دستجة وتشد معاً عند الأطراف الأربعة فتكون كالكتاب الرقيق ، ويجعل الكاتب الحبر والأقلام في (الدواية) المذكورة في الفصل الأول من هذا الكتاب ، ويوضع معهما المقشط والمقطّة : وهي آلة من العاج يوضع عليها القلم ليقط . ويسطر الكاتب الورق بالمسطرة : وهي قطعة من الورق القوي يشد عليه بعرض الورق خيوط ملصقة بالغراء ، فيجعل المسطرة تحت الورقة ويضغط على كل خيط بخفة ، وتتضمن عدة الكاتب مقصاً لقطع الورق ، إذ لا يليق أن يكون أطراف الورق ممزقة . ويعيش الكثيرون في القاهرة على نسخ المخطوطات ويبلغ أجر نسخ الكراسة وهي عشرون صفحة في كل صفحة خمسة وعشرون سطراً بالخط العادي ، ثلاثة قروش ، ويزيد المبلغ إذا حسّن الخط ويتضاعف إذا شكل الكلام



(شكل ٥٢) كتب وأدوات الكتابة

وهي تتكون من القلم والمقطة والمقشط والدواية والمسطرة والمسندة (وقد وضعت عليها الآلات الخمس المذكورة سابقاً)

والقس وقد وضع وغمده فوق الكتاب الأعلى

ويتلقى الذين يعدون أنفسهم لوظيفة دينية أو علمية دروسهم في الأزهر ، ويتعلمون قبل ذلك القراءة والكتابة وتلاوة القرآن أحياناً . والأزهر[1] — جامعة الشرق عامة — بنيان واسع الأرجاء ، يحيط بفناء مربع فسيح . ويوجد على أحد جوانب الفناء من جهة القبلة مكان الصلاة الرئيسي : وهو رواق فسيح ، وعلى كل جانب من الجوانب الثلاثة الأخرى أروقة صغيرة مقسمة إلى عدة أقسام يخصص الواحد منها لطلبة بلد معين أو مديرية خاصة من مديريات مصر . ويقع الأزهر في قلب القاهرة ، وعمارته لا تستحق الاعتبار ، وإحاطته بالمنازل تخفى خارجه إلا قليلاً . ويسمى من يتلقى العلم في الأزهر « مجاورا » ، ولكل رواق مكتبة

---

(١) وهم مصريون ، ويوجد أيضاً بعض الأتراك

(٢) « ظرف »

---

(١) ولا يسمى الأزهر « جامعة » بالمعنى الدقيق ، إلا أن المسلمين يعتبرونه كذلك . وقد ترجم السياح الأوربيون اسم الأزهر بجامع الأزهار بدلا من جامع الأزهر الذي هو الاسم الصحيح ومعناه الجامع النير . وهذا الجامع هو الأول من نوعه بالنسبة لجوامع القاهرة القديمة من حيث عهد إنشائه وسعته . وظاهر الأمر أن ما تقدم في هذه الحاشية (وكانت مدرجة في الطبعة الأولى من هذا الكتاب لم يلتفت إليه البارون هامر برجستال ، إذ أنه كتب ملاحظاً (في Vienna Jahrbücher der Literatur ٨١ ص ٧١) أنه كان يجب أن أكتب بدلا من « أزهر » كلمة « إزهر » إذ أن الأولى كما يقول تعني « أزهار » ، واسم هذا الجامع ينطقه غالب المصريين والعرب على العموم كما كتبته « أزهر » ، ثم أن جمع الزهرة « أزهار » ، إلا أن الترك ينطقون الكلمة السابقة « إزهر »

لاستعمال الطلبة ، ويتعلم الطلبة من الدروس التى يلقيها المدرسون ومن محتويات الكتب الموجودة بمكاتب الأروقة

ويتكون برنامج الدراسة من علوم الصرف والنحو والمعانى والبيان والعروض والمنطق والتوحيد والتفسير والحديث والفقه والحساب فى حدود المسائل الشرعية . وهناك دروس فى الجبر والمقابلة والميقات . ويجلس الشيخ على الأرض عند أسفل عمود من الأعمدة ، ويتحلق حوله الطلبة . ويقرأ طلبة المذاهب المختلفة كتباً مختلفة . وأغلب الطلبة شافعيون ، وهم لذلك شافعيون ، وشيخ الأزهر شافعى دائماً . ولا يدفع الطلبة للدراسة فى الأزهر أجراً إذ أن أغلبهم فقراء . ويتناول أغلب الأجانب الذين لهم أروقة خاصة راتباً من الطعام يومياً يصرف لهم من إيراد العقارات الموقوفة عليهم . والعادة أن يتناول طلبة القاهرة وما جاورها مثل هذا الراتب إلا أنهم لا يتمتعون بذلك طويلاً ، خلا شهر رمضان ، لأن « محمد على » استولى على جميع الأراضى الزراعية الموقوفة على المساجد ففقد الأزهر أكبر جزء مما وقف عليه . ولا تنفق الحكومة شيئاً غير مصاريف الصيانة اللازمة وأجور المستخدمين الرئيسيين . ولا يتناول المدرسون أجراً . وليس لهم وسيلة منظمة لكسب معيشتهم غير التدريس فى المنازل ونسخ الكتب الخ ... إلا إذا ورثوا ملكاً أو كان لهم أقارب يعولونهم . وقد يتناول المدرس هدية من الأغنياء . ويستطيع أى طالب كفء أن يصبح مدرساً بإجازة شيخ الجامع . ويتبع الطلبة غالباً طريقة المدرسين لكسب معاشهم ، أو يتلون القرآن فى المنازل أو على القبور أو فى مكان آخر . وعند ما يتقدم الطلبة فى دروسهم التقدم الكافى يدخل بعضهم فى القضاء أو الافتاء أو إمامة المساجد أو التدريس فى قراهم أو مدنهم أو فى القاهرة . ويحترف البعض الآخر التجارة . وقد يستمر بعضهم طول حياته يتلقى العلم مبتغياً الوصول إلى مصاف كبار العلماء . وقد نقص عدد هؤلاء الطلبة الذين لا رواق لهم كثيراً منذ الاستيلاء على الأراضى الموقوفة على الأزهر . ويبلغ عدد طلبة الأزهر ما خلا العميان حوالي ألف وخمسمائة[١] كما أخبرنى أحد المدرسين .

(يتبع)

عدلى طاهر نور

(١) ويقول الكثيرون إن عددهم لا يقل عن ثلاثة آلاف ، ويقول الآخرون إنه لا يزيد على الألف . ويختلف الطلبة كثيراً باختلاف العصور

فوق الحيـــاة

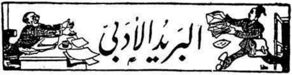
إنِّى احترقتُ ولم تدعْ أشلائى … نيرانُ تلكَ الحسرةِ الهوجاءِ
قد أوغلتْ بى نزعةٌ مدفوعةٌ … نحوَ الكمالِ تمدُّ فى برحائى
إذ أنَّ ما يسبى قلوبَ النَّاسِ لا … ألقاهُ حتَّى فى ذيولِ سمائى
أقبلتُ ملءَ دمى على الدُّنيا وفى … قلبى حياةٌ جمَّةُ الأهواءِ
وطرحتُ أعوامى عليها شادياً … متنقِّلاً فى الزَّرعِ والصَّحراءِ
ونزعتُ عنِّى كلَّ معنًى كاذبٍ … ونشدتُ وجهَ النُّورِ فى الظَّلماءِ
وتأمَّلتْ روحى أساريرَ الدُّجى … وتغلغلتْ فى ذاتهِ السَّوداءِ
وإذا الرِّياحُ تقولُ لى فى نصحها: … قفْ أيُّها السَّارى إلى التِّيهاءِ!
مَنْ لم تشقُّهُ الأرضُ وهوَ مكبَّلٌ … نبذتهُ عنها عِبرةَ الأحياءِ!
تلكَ السُّدودُ أقامها فوقَ الثَّرى … ربُّ الوجودِ وضاربُ الجوزاءِ
قلتُ اهدئى يا ريحُ ما أنا مُسرفٌ … متطلِّبٌ فى الصَّخرِ دفقةَ ماءِ!
وطفقتُ أخبطُ فى الظَّلامِ منقِّباً … عمَّا وراءَ اللَّيلِ من أشياءِ
حتَّى بدا لى خلفَ أحجارِ الدُّجى … نهرٌ يعجُّ بأعذبِ الأضواءِ
ونهلتُ منهُ فاكتملتُ كأنَّنى … أصبحتُ أسمى من بنى حوَّاءِ
وتألَّقتْ من حولهِ لى جنَّةٌ … علويَّةٌ مطلولةُ الأرجاءِ
هى عالَمُ المُثُلِ الرَّفيعةِ صاغها … «فوقَ الحياةِ» تدفُّقُ الإيحاءِ
أظلالُها فوقَ الزُّروعِ مديدةٌ … ونسيمُها متعطِّرُ الأحناءِ
وطيورُها ذهبيَّةٌ مسحورةٌ … تشدو فيهتزُّ الفضاءُ إزائى
وأخذتُ أرشدُ مَن أحبُّ إلى السَّنى … ومسابهِ، والنَّهلةِ البيضاءِ
والحقِّ والخيرِ الَّذى يمشى على … ربواتِ تلكَ الجنَّةِ العذراءِ
لكنَّهم ضجَّتْ بهم أرواحُهم … ظمأى إلى الأوحالِ والأنواءِ
عادوا وفى ألبابهم لى لعنةٌ … مكنونةٌ كالسُّمِّ فى الرَّقطاءِ
قالوا لقد عشنا على الدُّنيا كما … شئنا وشاءتْ رغبةُ الأحياءِ
مستعذبينَ قيودَنا لا تنجلى … عنَّا عمايةُ هذهِ الظَّلماءِ
تلكَ الحواجزُ لا نحبُّ عبورَها … نحوَ الَّذى نخشاهُ من أجواءِ
يا أيُّها المجنونُ! إنَّكَ شاعرٌ … يقتاتُ من أوهامهِ الحسناءِ
إذهبْ فلا كانتْ لكَ الدُّنيا وعشْ … فى برجِكَ المملوءِ بالخُيلاءِ!
لكنَّنى ناديتُ من عليائى … مستعصماً بالذِّروةِ القعساءِ:
البرقُ يكسبُنى التماعاً إنَّنى … أفقٌ فضجُّوا فى رحابِ فضائى!
والنَّارُ تمنحُنى حياةً إنَّنى … ذهبٌ فبثُّوا النَّارَ فى أحشائى!

عبد الرحمن الخميسى

غـــيران...

إذا الفجرُ لاحَ وحيَّا العذارى … وحيَّيتهِ بابتسامٍ رقيقْ
تلفَّتَ قلبى له واستطارا … كأنَّ به سكرةً لا يفيقْ
يغارُ عليكِ إذا الفجرُ لاحْ
وإنْ جئتِ فى خفَّةٍ تخطرينْ … ومالتْ عليكِ غصونُ الطريقْ
فما أشفقَ الغصنَ بالعاشقينْ … ولكنْ بقلبى زفيرُ الحريقْ
يغارُ عليكِ إذا الغصنُ مالْ
وإنْ رقَّ بين يديكِ النسيمْ … يسايرُ ظلَّكِ مثلَ الرفيقْ
فلا كانَ هذا النسيمُ الكريمْ … ألمْ يدرِ أنَّ فؤادى عشيقْ
يغارُ عليكِ إذا الظلُّ سارْ
وإن نطقوا باسمكِ الطَّاهرِ … وخفَّ له كلُّ سمعٍ طليقْ
ترامى صداهُ إلى خاطرى … ولكنَّ قلبَ المحبِّ المشوقْ
يغارُ عليكِ إذا الاسمُ ذاعْ
وإن ضمَّكِ البحرُ يا فاتنهْ … وداعبَ منكِ القوامَ الرشيقْ
فيا حسنَ أمواجهِ الساكنهْ … وقلبى الذى هو بحرٌ عميقْ
يغارُ عليكِ إذا البحرُ ماجْ
وإنْ رقصَ اللَّيلُ فى راحتيكِ … وأهديتهِ بسمةً من رحيقْ
فها قد حُرمتُ سنى ناظريكِ … وقلبى الذى فى دجاهُ غريقْ
يغارُ عليكِ إذا الليلُ جاءْ

محمد محمود زيتون



التعاون الثقافي بين مصر والعراق

أقامت المفوضية العراقية بالقاهرة حفلة شاي دعت إليها جمهوراً كبيراً من رجال التربية والتعليم بمناسبة انتهاء « مؤتمر تدريس العلوم » ، وقد اشتركت فيه الحكومة العراقية بإيفاد اثنين من رجالها الفضلاء : هما الدكتور الجمالي والدكتور عقراوي . أما الحكومة السورية ، فقد اعتذرت بخطاب كريم نصت فيه على أن ضيق الوقت حال بينها وبين ما تريد من الاشتراك ، وتمنت أن يديم الله على رجال العلم في مصر نعمة التوفيق

وفي الحفلة دار الحديث حول نشاط أعضاء المؤتمر فقلت : إن الذي شرح صدري هو أن أرى وزير العراق المفوض يحضر جميع الجلسات وعلى صدره شارة المؤتمر ؛ فقال الدكتور عقراوي : هذا اقتداء بالتقليد الذي سنّه صاحب السمو الأمير عبد الإله الوصيّ على عرش العراق ، فهو يحضر بنفسه جميع المحاضرات التي تلقى في بغداد باسم التعاون الثقافي بين مصر والعراق وفي معيته جمهور من الوزراء والنواب والأعيان ، وتلك التفاتة نبيلة تبين لك عظمة ذلك الأمير الجليل

وانتهزت الفرصة فسألت الدكتور عقراوي عن شعوره نحو المؤتمر فقال : دلني هذا المؤتمر على نواحي جديدة من النهضة المصرية ، فأنا الآن أومن بأن لرجال التعليم في مصر آراء لا تقلّ وجاهةً عن آراء رجال التعليم في الأقطار الأوربية والأمريكية

والحق أن الصلات العلمية والأدبية بين مصر والعراق قويت جدًّا بفضل تعاون الأمتين ، وبفضل الأساتذة الذين أسسوا ذلك التعاون من أمثال : السنهوري والزيات وعزام ؛ ولم يبق إلا أن نفهم أن تلك الجاذبية الروحية تحتاج إلى أسندة من الصدق والإخلاص في كل يوم ، لتصل إلى كمالها المنشود

وفي هذا المقام أذكر أن سعادة الدكتور فاضل الجمالي حدثني أن معالي السيد تحسين علي ، وزير المعارف العراقية ، أوصاه بأن يصحبني معه إلى بغداد ، وقد أجبت بأن الشوق سيحملني إلى بغداد على غير ميعاد ، ولكن الذي يهمني هو أن يوجد مصريون بعواطف عراقية ، وعراقيون بعواطف مصرية ؛ وعند ذلك ابتسم سعادة الأستاذ شفيق بك غربال وقال : أنت هنا والجمالي هناك !

زكي مبارك

أولية سوق عكاظ

ذكر الأستاذ « علي محمد حسن » في الرسالة الغراء (العدد ٤٥١) تصحيحاً لما في دائرة معارف وجدي إذ جعلت افتتاح عكاظ سنة ٥٤٠ م ، قال في خاتمته : « وبعد ، فجمهرة الكتب على أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل ، وعلى أن عكاظ قامت بعد الفيل بخمس عشرة سنة فتكون قد أقيمت في سنة ٥٨٥ » .

والواقع أن جمهرة الكتب ذهبت إلى هذا ، إلا أنه لا يثبت على التحقيق ، بل إن سوق عكاظ ليرتفع تاريخها إلى ما قبل سنة ٥٠٠ ميلادية لهذه الأسباب :

١ — أجمعت كتب السير على أن رسول الله حضر حرب الفجار بنفسه ويحدد بعضها سنة إذ ذاك مستنداً على الحديث : « كنت أنبل على أعمامي يوم الفجار وأنا ابن أربع عشرة سنة » وحرب الفجار كانت في عكاظ إبان الموسم ، وذلك بعد عام الفيل بأربع عشرة سنة ، فكيف يقولون إن عكاظ أقيمت بعد الفيل بخمس عشرة (أنظر أسواق العرب ص ١٤٦ فما بعد) .

٢ — تزوج عبد شمس بن عبد مناف امرأة بعد أن طلقها زوجها لبيعها السمن وراحلتين بخمر شربتها في عكاظ . وهذا الحادث قبل عام الفيل بعقود السنين (أسواق العرب ص ٢٩٠)

٣ — قالوا إن عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة عاش حول سنة (٥٠٠م) ، وعمرو أنشد معلقته في عكاظ بالموسم ، فلا شك إذن في أن السوق كانت قبل هذا التاريخ بسنوات .

مما تقدم لأسباب أخرى لنا أن السوق أقيمت قبل التواريخ التي يذكرونها بأزمان وهي على أقل تقدير كانت قبل القرن السادس الميلادي ، ومن أراد زيادة في التحقيق فليرجع إلى كتابنا (أسواق العرب في الجاهلية والإسلام[1] ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ١٢٦ فما بعد

سعيد الأفغاني

(١) دمشق : المطبعة الهاشمية سنة ١٩٣٧ م

« أبو العلاء » و « إخوان الصفاء »

نقل الأستاذ عمر الدسوقى فى العدد (٢٤٦) من هذه المجلة الرفيعة قول الدكتور طه حسين بك أن « أبا العلاء المعرى » قد اجتمع بإخوان الصفاء إبّان إقامته فى بغداد ؛ وقد استدلّ الأستاذ الدكتور على ذلك بالبيتين الآتيين :

كم بلدة فارقتها ومعاشر   يذرون من أسف علىّ دموعا
وإذا أضاعتني الخطوب فلن أرى   لوداد « إخوان الصفاء » مضيعا

لورود « إخوان الصفاء » فيهما .

وقد كتب الأستاذ سليم الجندى عضو المجمع العلمى العربى بدمشق مقالاً فى مجلة المجمع المذكور : (العدد الثامن ، المجلد السادس عشر ، ٩٤١) بيّن فيه التناقض الذى وقع فيه الدكتور فيما ذهب إليه ، ونفى أن يكون أبو العلاء قد اجتمع بإخوان الصفاء مستدلاً بأمرين :

الأول : أن وقوع كلمة « إخوان الصفاء » فى هذين البيتين لا يدل دلالة واضحة على اجتماع أبى العلاء بهم ، فقد وردت فى شعر كثير من الشعراء الجاهليين والإسلاميين والعباسيين : كالخنساء وأبى حبال البرّاء بن ربعى الفقعسى ، وبشار بن اسماعيل ، وعبد السلام بن رغبان ، وابن الرومى ، وصريع الغوانى ، وابن المقفع (فى كليلة ودمنة ، باب الحمامة المطوّقة) ؛ وبدهى أن هؤلاء جميعاً لم يقصدوا بإخوان الصفاء (الجمعية المعروفة) ، وإنما أرادوا إخوان المودّة الصافية الخالصة

والأمر الثانى : أن معرفة سبب قول هذين البيتين تنفى ما ذهب إليه الدكتور ؛ فقد روى ياقوت فى معجم الأدباء (ج ١ ص ١٧٥) عن أبى الوليد الدربندى قال : أنشدنى أبو العلاء التنوخى فى داره عند وداعى إياه (وذكر الأبيات ...)

هذا ، وفى المقال أشياء أخر ذات شأن يحسن الرجوع إليها

« دمشق » **صلاح الدين المنجد**

فى الكتب لا فى الصدور

نعم كل شىء فى الكتب ؛ ومن يغص فى أعماق تلك البحار يجد العجب العجاب ، ويعثر بالفريد المستطاب . وإن تراثنا العربى لا يمكن أن نهضمه فى أعوام ولا قرون ، ولا نسيئه بكلمة أو مقال : إنه تراث غنى ولكنه مدفون

وما كان الأستاذ الجليل « شلتوت » وهو يتحدث عن « شخصيات الرسول » يجهل أن الذى نحدث به مدفون فى بطون الحواشى والمتون ، وما كان يجهل أن العلماء أقاموا من أجله المعارك والخصام . كان يعلم ذلك ، ويعلم أيضاً أن الناس معنيون بالظاهر ، واقفون عند القريب ، قانعون بالميسور ، فأراد أن يضع أيديهم على الداء والدواء ويلفت أعينهم إلى ما خلف الستار والحجاب

وكيف يجهل الأستاذ ذلك وهو أحد مؤلفى كتاب « مقارنة المذاهب » ، وهو بحث طريف ، وإن كنت أعتب عليه أن يحصر مثل هذا النوع من التفكير بين جدران الكليات ، ولا يذاع ليعرف الناس ، وليقول المنصفون !

ولقد قال الأستاذ شلتوت فى حديث لى معه : إن صح أن ديننا الحنيف يحتاج إلى شىء فهو حسن العرض والإعلان لتلفت إليه أنظار المفتونين بزخرف الأوربيين، فيروا ما فيه من خبايا ودفائن، وميزات وحسنات . ثم قال : أريد من الناس أن يلتمسوا الدين من حواشى ابن عابدين ، وحواشى القليوبى والأسنوى والمحلى ؟ الخ

وقد يكون هذا هو الحافز لأستاذنا الجليل إلى أن يلفت لهذه الناحية الأنظار ، وخاصة أنظار الذين عموا وضلوا وحسبوا ديننا الكريم عصبية عمياء ، فذهبوا ينالون أحرار الفكر بالإيذاء

السيد جمعة

إيجبت

قرأت فى جريدة الأهرام كلمة للأستاذ محمد حسنى عبد الله تحت عنوان : « لفظة «إيجبت» ولمَ سميت بها مصر » ذكر فيها أسطورة يونانية ، ثم طلب ممن يعلم شيئاً فى هذا الموضوع أن يذكره . وإلى القارئ خلاصة ما وقفت عليه فى مطالعاتى :

أطلق اليونان لفظة أجيبتوس Aigyptos على مصر ولا نعرف تماماً تاريخ هذه التسمية ، إلا أن مصر لم تكن تسمى دائماً أجيبتوس وإنما عرفت قديماً بأسماء مختلفة أهمها : كيمى Kemi أو كاميت Kamit أو خمى Khmi بمعنى الأرض السوداء أى الخصبة ؛ ومن هذا الاسم اشتقت لفظة كيمياء ؛ وذلك هو الاسم الشائع . وسميت أيضاً نحى بفتح النون أو ضمها Nohi و Nahi أى بلد الجنز ؛ وتوميرا To-mera أى الأرض المغمورة ، لفيضان النيل عليها . وأطلق عليها الساميون : عبرانيون وفينيقيون وعرب ، لفظة مصر ، ولعل أصل هذه التسمية جاء من أن معنى مصر فى لغاتهم : البلد العظيم . أما كلمة إجيبتوس فلا تزال تدل عليه أصلها موضع التخمين والاستنتاج ، ولم يستطع أحد أن يقطع فيه برأى . وقد رأيت هذه الكلمة فى الأوديسة تشير تارة إلى



المصابيح السبعة

قصة من القصص الشعبي لسكان جزيرة بورنيو

مترجمة عن الانجليزية

عند ما كبر والد الأبناء السبعة وطالت لحيته البيضاء بطول عمره ، دعا إليه ثمار بذوره وتحدث إليهم في صوت خافت قال :

« أبنائي ! إنني أقف هنا في مكان مظلم وتقفون أنتم حولي ولكن انظروا : ها هي أمامكم سبعة مصابيح عددها كعددكم ، فليتخير كل منكم مصباحاً يستضيء به ويتبع نوره ، ولا يأخذنكم الإعجاب بشدة ضوئها الحالي ، فإني أنصحكم ألا تتخيروا ما قد يبدو لكم الآن أنه أحسن المصابيح وأسطعها ضوءاً . أنظروا إليها نظرة فاحصة ثم تخيروا ما شئتم ، وإني لكم لنذير بأن اختياركم هذا اختيار نهائي لا رجعة فيه . فتبينوا الأمر قبل أن تقدموا ، فإذا أقدمتم وتخيرتم ما استقر عليه رأيكم فلا تتحولوا عنه وأصروا على الاستضاءة به إصراراً ، إذ الأفضل أن يؤمن المرء إيماناً تاماً برأي ما ويتبعه في إخلاص وأمانة ، وفي ثبات وإصرار — ولو كان هذا الرأي خطأ في جوهره — أقول إن هذا أفضل من أن يتبع المرء في تردد وضعف رأياً يؤمن في قرارة نفسه ببطلانه ، ولو كان هذا الرأي في جوهره هو الحق والصواب »

فتقدم عندئذ الابن الأكبر ومد يده نحو المصباح الأحمر واستولى عليه ، ثم تمنطق بسيفه ودرعه وبدا على وجهه أمارات الجشع والطمع ؛ ثم صاح صيحة الوداع وانقلب على وجهه مسرعاً ليقضي حياته كلها في السلب والنهب والإجرام .

ورأى الوالد سوء طالع ابنه وفساد رأيه ، ولكنه لزم الصمت ،

مصر والمصريين ، وتارة أخرى إلى نهر مصر أي النيل ؛ وقد أطلق فيما بعد على هذا النهر اسم نيلوس وأصله مجهول أيضاً

وهناك رأي يقول إن لفظة إجيبتوس أصلها مصري . ويحاول هذا الرأي أن يرجع هذه التسمية إلى « هاكابتاح Ha-ka-Ptah » أو « ها كوبتاح Ha ka Ptah » وهو الاسم المقدس لمدينة منف Memphis في عهد مينا Mena ، ومعناه « مكان عبادة بتاح » إذ كان بتاح يعبد في هذه المدينة

وأذكر أني قرأت في كتاب أو مقالة أن ها كابتاح ورد في نص من النصوص القديمة بمعنى مصر ، لا مدينة منف ، وأن هذه الكلمة نقلها الفينيقيون إلى اليونان فجعلوا منها إيجيبتوس . ولو صح ذلك لكان مؤيداً للرأي السابق .

وهناك رأي للدكتور أبات باشا Abbate Pacha ورد في كتابه Aegyptiaca مصريات : في فصل أفرده لكلمة إيجيبت تحت عنوان: Onomatopée d'Egypte يخالف فيه الرأي السابق ويرجعه إلى العالم بروكش Brugsch إذ يرى أن اليونان انتشروا في مصر في وقت قريب فتر فيه نفوذ مدينة منف العاصمة وعبادة بتاح المعبود ، وقوي سلطان مدينة طيبة Thébes . وقد شاركت مدينة قفط Coptos مدينة طيبة في علو الشأن وذيوع الصيت لوقوعها على طريق البحر الأحمر ومحاجر Rohannou . وقد لعبت هذه المدينة دوراً كبيراً ، وأصبحت مركز التجارة بين مصر وبلاد العرب والهند . ولا بد أن اليونان الذين جذبتهم روح التجارة إلى (كيمي) أولاً انتشروا في منطقة قفط وجعلوا من اسمها اسما عامة لمصر فقالوا إجيبتوس أي بلد كبتوس . ويحتمل أن يكون أصل القبط من ذلك . وهكذا حلت إجيبتوس فيما بعد محل كيمي التي اقتصر على نقشها في الآثار

وكثيراً ما أشارت النصوص القديمة إلى الصعيد باسم Koptos . وقد ذكر العالم لبسيوس Lepsius عند الكلام على مصادر الذهب : ذهب الحبشة Nub en Kuch وذهب بلد كبتوس Nub en to Kopt (وقد يكون أصل تسمية بلاد النوبة بوجود الذهب بها فكلمة nub تعني الذهب) . كما أنه ورد في حجر رشيد كلتا Kemi و Aigyptos الواحدة ترجمة للأخرى وإذن تكون To kept : أرض قفط، Aigyptos ؛ وقد يكون اليونان قد وضعوا مكان To الفرعونية، الموصول الحرفي اليوناني Ai الذي يدخل على الكلمة لتوضيحها أو للدلالة على صدارة الشيء

حمدي طاهر نور

وأدار وجهه نحو الباقين من أبنائه يرقب ما استقر عليه رأى ابنه الثانى، وكان ضعيف الجسم قوى العقل، فتقدم ببطء وتردد وأخذ يعمل فكره فى تؤدة شأن الحكماء من بنى الإنسان، ثم ترنح قليلاً ومد يده نحو المصباح الأزرق وقبض عليه . فاغتبط الأب لهذا الاختيار أيما غبطة وقال :

« إذهب إنك لمن البرزين، وإنك سوف تظهر على الناس أجمعين » !

وكان المصباح الأزرق — مصباح الحق — يتلألأ أثناء ذلك

وتقدم الابن الثالث : وكان جميل الوجه حسن السمات . . . فأعجبت به النساء وشغفن به حباً ، فتخير المصباح الأخضر ذا الهب الخافق الحائر وأخذه بين يديه ، ثم انصرف . فلما خرج من الباب ، لمح والده « صاندال » تجرى فى إثره وكانت هذه المرأة مضغة فى الأفواه لقبح سيرتها وفساد أخلاقها، فطأطأ الشيخ رأسه وقال : إن الرجل الذى يجعل النساء الجميلات قبيلته وغاية سعيه ، فيخضع لمن ويرضى أهواءهن ، لهو رجل خاسر ، إذ لا يتيسر له أن يتجه وجهة أخرى أو يعمل عملاً آخر

ولم يكد يختفى هذا الابن الذى جعل النساء شغله الشاغل فى هذه الحياة حتى سمع الجمع صوت النقود ورنين الذهب ، إذ تقدم الابن الخامس وعلى وجهه تعلو سمة المرابى ، فاختطف المصباح الأصفر وولى مسرعاً

وجاء الابن الخامس خائفاً يترقب ، يلتفت يمنة ويسرة ، ويقدم رجلاً ويؤخر أخرى، أصفر الوجه، مرتجف اليد ... ونظر إلى المصابيح الباقية ، فتخير المصباح الرمادى — مصباح الخوف والجزع — فقبض عليه بيده الخائرة ، وتولى من مجلس أبيه وهو يرتجف فرقاً ...

وتبعه الابن السادس : وكان مدللاً ملحوظاً من يوم ولادته بعناية والديه ، فشب أنانياً محباً لذاته ، فلم يتردد ولم يتمهل ، بل اندفع نحو المصباح الأسمر — مصباح الأثرة ذى الضوء القاتم الخائر وقبض عليه ...

وأخيراً ... وقف الابن الأصغر فى تواضع وخشوع بين يدى والده ، ثم ركع على ركبتيه وأخذ المصباح الأبيض ـ مصباح الإيمان بالله ـ وقال : يا أبت ... لسوف أتبع هذا النور على الدوام فى كل مكان وكل زمان ، فى السراء والضراء ...

ومرت الأعوام ... فضمر جسم الوالد ، وانحنى ظهره ، وطال شعره ... ولكن ظلت عيناه الحادتان ترقبان ـ على الدوام ـ عودة أبنائه السبعة ...

وقرع الباب يوماً ، فلما فتحه الوالد الشيخ وجد أمامه الابن الثالث الذى تخير المصباح الأخضر فقال له : « أبى لقد تبين لى أن النساء مخادعات غادرات . ولقد احترق زيت مصباحى عن آخره . وهأنذا شريد بائس ، ولقد قابلت أخى الذى شغف بجمع المال فطلبت مساعدته ، ولكنه أبى على ذلك »

ثم عاد بعد ذلك الابن الرابع صاحب المصباح الأصفر ، فإذا بمصباحه قد خبا ضوءه وهو ما يزال يسعى وراء المال وجمعه ؛ وكان هذا هو كل ما حصل عليه . فقال : « يا أبى ، إننى رجعت إلى دارنا لأموت » ثم سقط على الأرض وفارق الحياة

وعاد الابن الخامس ذو المصباح الأسمر وكان سلطان شهواته ورغباته وأثرته لم يبق له خليلاً ولا صديقاً ، ولم يجلب له سلاماً أو طمأنينة فرجع إلى أبيه بائساً مسكيناً

وعاد بعد ذلك الابن الخامس ذو المصباح الأخضر فإذا به قد قضى حياته كلها يحيطه الخوف والجزع ، ذلك فإنه لم يؤمن بالله ، ولم يعرف أنه أرحم الراحمين ، فاحترق مصباحه بين يديه ، ونفد زيته ، وأخذه الشك والخوف من كل مكان ، وكان نصيبه الوحدة والهزؤ من الناس أجمعين

وأخيراً رجع الابنان الباقيان معاً يحمل أحدهما المصباح الأخضر — مصباح الحق — ويحمل الآخر المصباح الأبيض — مصباح الإيمان بالله — فقالا للشيخ : « يا أبانا ، لقد هدانا المصباحان سواء السبيل فاسترشدنا بهما وسط العواصف والأنواء، وكلما حزب الأمر واشتد الإغراء وجدناهما خير معوان لنا على مقاومة النفس والشر أينما كان . وها نحن أولاء نعود إليك نشكرك ونحييك ونخلص لك »

ابراهيم عبد الحميد زكى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)